المقالة الاصلاحية
فى أدب الشيخ محمود شاكر

د. سعد أبو الرضا
كلية الآداب - جامعة بنها

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

الإهداء
إلى الأستاذ جلال حزى
الرمز و الفكرة

الأستاذ جلال حزى من أهم رعاة الثقافة و الفكر فى مصر و العالم ، ليس فقط بآلاف العناوين التى تصدرت الكتب التى نشرتها مؤسسته،ولكن بحسن اختياره ودقته فى هذا النشر،وتتبعه له إخراجا و طباعة وتسويقا فى أرجاء العالم العربى و غير العربى،وتوجيها لرفاق دربه من الناشرين و أصحاب المؤسسات الثقافية.

ولا ينبئك مثل خبير، فانظر فى أجندته التى لا تفارق مكتبه، تجد فيها سيرة لكل كتاب و كاتب لديه،تاريخ النشر، و تاريخ الصدور، و اشارة إلى فكرته، و اهميته

اجتذبت مؤسسته بعناوينها و مادتها كبار الكتاب و المفكرين، و كبرى المؤسسات العالمية فى الداخل و الخارج، التى وجدت لديه ضالتها لأن مقياس المفاضلة لديه العمل العلمى الصالح المفيد، على مستوى الفرد و المجتمع و الأمة و العالم.

ما أكثر اصدقاءه و مريديه ممن بهرهم بعذب حديثه، و حسن توجيهه، و دقة إرشاده، و ما أروع ملتقياته التى تضم المفكرين و العلماء و الأدباء الذين يجدون فى كرم ضيافته القبول الحسن، و التلقى الودود و التقدير الثرى.

برغم سنه – أطال الله فى عمره – لم يتوقف عن التوجيه السديد، و الإرشاد الناصح فى أرجاء مؤسسته، التى يضئ كل أركانها بلمساته و رعايته، للصغير و الكبير.

أ ليس هو بكل ذلك رمزا للخير و المعرفة و الثقافة، وإضاءة للفكر الجاد و العلم النافع ؟ حفظه الله و رعاه.

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة

ازدهـــرت المقالة بمختلف أنواعها ، لانتشار الصحافة والإذاعة المرئية والمســـموعة وتقدمهـــا ، وقد أصبحت المقالة من أهم الأنواع الأدبية كشفا عن الآراء ، وجـــلاء للـــرؤى ، وإثـــراء للفكـــر، وإمتاعاً للوجدان ، كما تنوعت موضوعاتها بتنوع مجالاتها ، وتباين القضايا التي تعالجها ، وهكذا أصبحت في مقدمة الفنون الأدبية في عصرنا .

وقد تباينت أشكالها طولا وقصرا وأسلوبا ، برغم ما بينها من وحدة كفن أدبي له مقوماته وسماته ، كما قد تجمع المقالة بين العلمية والأدبية في التوجه والشكل ، وقد تميل إلى أحد هذين الجانبين بقدر ابتعادها عن الآخر .

وبـــرغم أن المقالـــة بنت العصر الحديث ، لكنها ذات جذور في تراثنا ، خاصة ما يتمثل منها في الرسائل.

ما سبق بتفاصيله يشكل التمهيد لهذه الدراسة ، من ثم يأتي الموضوع متناولاً المقالة في أدب الشيخ محمود شاكر ، وقد اخترت المقالة بالذات لأنها تشكل جزءا مهما في أدبه ، كما كانت مجالاً واسعا عرض فيه معظم آرائه ، ونظراً لتوجهاته الإصلاحية التي صبغت هذه المقالات ، فقد جعلت عنوانها: "المقالة الإصلاحية في أدب الشيخ محمود شاكر" ، وقد يشاركه في هذا التوجه آخرون [لكن مقالاته تميزت بسمات اختص بها ، حاولت تتبعها وكشفها خلال عرض نماذج لمقالاته فكرة وأسلوباً] .

وقـد كـان الشـيخ محمود شاكر بهذه المقالات ممثلاً لتيار إصلاحي إسـلامي يبتغي الدفاع عن الإسلام والعربية ، داعياً لتجسير ملامح أمة قوية فـي معـتقدها وفكرها وثقافتها ، تحقيقاً لقوله تعالي " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"[1]

---

[1] سورة آل عمران ، آية : ١١٠.

فن المقالة

ـ التمهيد :

تعريفها .

المقالة قطعة نثرية ، لها طول محدد ، يصوغها الكاتب بأسلوب جميل ، يتناول فيه بعض الجزيئات ، ويمكن أن تتألف من مقدمة وموضوع وخاتمة ، وقد يكون فيها شيء من السخرية الخفيفة .

وهناك من يرى أنها على غير نسق من المنطق (١) ، بل إن جونسون الإنجليزي الشهير يرى أنها : " نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، وهي قطعة لا تجري على نسق معلوم ، ولم يتم هضمها في نفس كاتبها ، وليس الإنشاء المنظم من المقالة الأدبية في شيء " (٢) .

وهناك من يصف المقال بصفة عامة بعدم العمق في بحث الموضوع الذي يتناوله ، بالإضافة إلى قصره عادة ، وكونه نثراً (٣) .

وبرغم أننا نؤثر التعريف الأول ، لأنه قد يكون أكثر انضباطاً ، كما ينطبق على كثير من المقالات التي نجدها في الصحف والمجلات ، خاصة وقد أصبح المقال فناً من فنون الأدب ، لكن الواقع يؤيد وجود مقالات يمكن أن يتضح فيها أي من التعريفات السابقة ، بصرف النظر عن كثرتها أو قلتها .

لمحة تاريخية – البذور الأولى للمقالة :

ونظراً لاعتمادها على الملاحظات والتأملات فيمكن أن نجد بذورها الأولى في حكم الشعوب وأمثالها (٤) ، يستوي في ذلك العرب وغيرهم .

ولقد كان للإغريق أثر في المقالة يمكن أن يتضح ذلك من محاورات سقراط وأفلاطون وما تميزت به من حرية وانطلاق ، أثر في نظر بعض الباحثين في مقالات ميشيل ديمونتين الفرنسي في القرن السادس عشر الميلادي . كما أثرت دقة أرسطو في مقالات فرنسيس بيكون الإنجليزي .

١- ومن أشهر كتاب المقالة من الإغريق ثيوفراست وهو من تلاميذ أرسطو وكانت مقالاته تتناول شخصيات يبرزها كنماذج بشرية قبل اختراع المطبعة ، وهو أول من كتب مجموعة من الصور للمقالة تحت عنوان " صور نمطية " (٥) راصدا ومحللا بعض السمات المختلفة للسلوك البشري : كالبخيل أو الجبان أو الشجاع أو الكريم ، وهي صور مجردة قد لا ترتبط بشخصية معينة عاشت فعلا في عصره ، ولذلك سميت صورا نمطية ، كما كان هوراس وكانتيليان لهما أثر في المقالة عند اللاتينيين أو الرومان (٦) .

٢- في القرون الوسطى يمكن أن نجد أثرا للمقالة التأملية الفلسفية التي كان يعتمد عليها بعض رجال الدين في ذلك الوقت في نشر تعاليم الدين المسيحي والدفاع عنه . وكذلك يمكن أن نجد في نهاية هذه الفترة بعض المقالات مثل مقالات توما الأكويني . بذلك نكون قد وصلنا إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي وتطالعنا أسماء مثل دانتي الإيطالي .

ويعتبر الكاتب الفرنسي ميشيل ديمونتين **Michel De Mantaigne** (١٥٣٣ - ١٥٩٢ م) فاصلا بين عهدين للمقالة، المرحلة الأولى منذ نشأت حتى أوائل القرن السادس عشر ، والمرحلة الثانية منذ هذا الرجل حتى اليوم (٧) . ولذلك يعتبر القرن السادس

عشر زمنا لنشأة المقالة الحديثة في أوروبا ، وذلك عندما كتب دمونتين الفرنسي (٨) هذا عددً من المقالات في أربعة أجزاء سماها " محاولات أو تجارب " ، وقد ضمن مقالاته كثيرا من الاستشهادات القديمة اليونانية والرومانية ، كما كتب مثلا في مقالة عن الصداقة ، وهو يستشهد بما رواه هوميروس في الإلياذة عن أخيل الذي رجع إلى الحرب مقاتلا الطرواديين عندما قتل صديقه بتركل (٩) .

٤- ثم كانت مقالات فرنسيس بيكون الإنجليزي Francis Bacon (١٥٦١ - ١٦٢٦ م) - وربما كان متأثرا بمونتين الذي ترجم كتابه إلى الإنجليزية - وهي مقالات فلسفية موضوعية وذلك في كتابه " مقالات " الذي يتضمن نقده للمنطق الأرسطي ، خاصة أن هذا المنطق لا يكتشف جديدا في نظره ، وإنما هو يستخدم الحقائق المعروفة في الجدل والمحاجة ، وفي الأقيسة والمقولات ، وقد أحل بيكون الاستقراء محل هذا المنطق الشكلي .

وإذا كانت مقالات دمونتين تتميز بالذاتية والاسترسال ، فإن مقالات بيكون يمكن أن تصنف ضمن المقالات الموضوعية ، وهي مركزة .

في القرون الهجرية الثلاثة الأولى :

لقد كان للعرب أشكال أدبية في التراث قد لا تختلف كثيرا عن المقالة بمفهومها الحديث، وإن كانت تتميز بسمات عصرها مثل " الرسالة و " الفصل "، بل إن عباس محمود العقاد يرى أن " الفصل " هو أقدم نموذج في هذا المجال ويعتبر رائدا للمقالة (١٠)

لذلك فقد تمثلت بذور المقالة في أدبنا العربي القديم في الرسائل ، خاصة الإخوانية والعلمية ، فالإخوانيات بما تتضمنه من مسامرات ومناظرات وأوصاف وعتاب ، قد نجد فيها بعض الخصائص التي تقربها من المقالة اليوم ، ولولا أنها اتجهت إلى الصنعة والمحسنات لا تصلت في تطورها بفن المقالة اليوم ، (١١) وكانت أصلا لها .

ومن أمثلة هذا اللون من الرسائل ما يمكن أن يلتقي مع المقالة الأخلاقية ، كما في صفة الإمام العادل : للحسن البصري ٢١٠ أو رسالة عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢ هـ) التي تحدد أصول الرسالة الديوانية وأخلاق الكتاب ، وهي يمكن أن تلتقي مع الرسالة النقدية الحديثة ، وكذلك رسالة سهل بن هارون (ت ٢١٥ هـ) إلى بني عمه في مدح البخل وذم الإسراف ، وما فيها من روح فكهة تشبه المقالة الفكاهية ، ورسالة عبد الله بن المقفع (ت ١٤٣ هـ) في الصحابة ، وهي تدور على سياسة الدولة وتدبير الرعية ، وتتصل بنقد نظام الحكم كما تقترح بعض وجوه إصلاحه ، وهي أقرب إلى المقالة السياسية .

كما يمكن أن نجد بعض الصور القلمية في أدبنا العربي القديم ، في رسائل الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وتنوع كتاباته ، التي تعد من خير الأمثلة على المقالة في تراثنا الأدبي ، وذلك لما بها من اتساع في الثقافة ، وتعدد الموضوعات ، وانطلاق في التعبير ، بجانب ما تتضمنه من فكاهة عذبة وسخرية خفيفة وتلوين في الصور ، وغير ذلك مما جعل الجاحظ متميزا عن غيره باختياره لموضوعاته ، وطريقة عرضها المتنوعة كما في " الحيوان " ، وكما في رسالة " التربيع والتدوير " ، حيث يقدم صورا مسهبة لخصمه ابن عبد الوهاب ، مبرزا قبحه الجسدي والمعنوي ، وكذلك ما كتبه عن البخلاء في " البخلاء " .

- نموذج من التراث :

ومن الأمثلة على المقالة في أدبنا العربي القديم قول الحسن البصري في رسالته

التي يمكن أن نعتبرها من المقالة :

" اعلـــم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم وفزع كل ملهـــوف . والإمـــام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله ، الذي يـــرتاد لهـــا أطيب المراعي ، ويذودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع ، ويكنفها من أذى الحر والقر .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده . هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم . فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده ، واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال وشرد العيال فأفقر أهله وفرق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها . وإن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم . واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه ، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر . واعلم أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه ثواؤك ويفارقك أحباؤك ، يسلمونك في قعره فريدا وحيدا ، فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل ، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك . وتحمل أثقالك وأثقالا من أثقالك " (١٢) .

تحليل هذه المقالة : أولاً :نوعها :

هذه الرسالة (المقالة) :يمكن أن تتعدد نوعيتها بحسب موضوعها ، فهي

أخلاقية دينية ؛ لأنها تقدم صورة دقيقة لصفات الإمام العادل ، وهي أيضا مقالة سياسية ؛ إذ تنظم العلاقة بين الراعي والرعية ، كما أنها مقالة اجتماعية ؛ لأنها تتحدث عن العدل وأهميته في الأمم والجماعات ، وهي مع ذلك كله مقالة ذاتية لأنها تقدم وجهة نظر الحسن البصري في قضية الإمام العادل ، خاصة وقد صاغها صياغة أدبية جميلة تؤثر في وجدان المتلقي .

المستوى التركيبي:

وقد اعتمد الحسن البصري في صياغته تنوع الأساليب بين الإنشائية والخبرية، الإنشائية متمثلة في الأمر لتنبيه الحاكم ولفت نظره إلى مسؤولياته تجاه رعيته في إقامة العدل بينهم ، ونصرة المظلوم والضعيف ، والحفاظ عليهم ، وقد تكرر هذا الأمر (اعلم) عدة مرات ، وهو لا يأتي غالبا إلا مقترنا بأسلوب النداء (يا أمير المؤمنين) ، وبذلك فلم ينس المتحدث مكانة من يتحدث إليه ، بل لعل اختياره لهذه الصفة بالذات أنسب لتهيئة المتلقي لحسن الاستجابة ، وكأن النصيحة من الحسن البصري ، لم تغفل مكانة من يوجهها إليه ، فهو إمام الأمة ، ولذلك عظمت النصيحة بقدر هذه المكانة .

كما نجد الجمل الخبرية اسمية عندما يقرر إحدى صفات الإمام العادل ، وذلك لما لدلالة الجملة الاسمية على الثبوت ، فكأن هذه الصفات دائمة مقررة ثابتة لا يستقيم الحكم بدونها ، (فالإمام العادل صلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف .. وهو كالقلب بين الجوانح ، وهو القائم بين الله وبين عباده ...) ، بل قد يؤكد بعض هذه الجمل الاسمية بالمؤكدات المختلفة ، ليحقق لهذه الجمل مزيداً من مضاعفة الدلالة ، كشفاً عن تأكيد إحدى صفات الإمام العادل كإقامة الحدود الشرعية ، والاعتبار بالموت ، وترك حكم الجاهلية ، بينما نجده يستخدم الجملة الفعلية عندما يبين فعلا يجب على الإمام العادل القيام به ليوحي بتجدد هذا الفعل

ووجوب استمرارية حدوثه : يذود الرعية عن مراتع الهلكة ، يحميها من السباع، ..يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم ..)، كما توحي هذه الجمل الفعلية السابقة بالمساواة التامة بين الراعي والرعية أمام الله، وذلك بتوحيد الأفعال بينما يتعدد إسنادها إلى ضمائر الغياب مفردة وجمعا كما في أفعال كثيرة منها : (يسمع ، ينظر ، يقود ...) ، مع التأكيد على مسئولية الحاكم بالقيادة ، وواجب الرعية بالطاعة . وما أكثر الثنائيات الدلالية المتقابلة الكاشفة عن جوانب العلاقة بين الحاكم العادل والرعية ، والتي توجه اللغة فيها الحاكم نحو فعل كل خير ، وتحقيق كل حق وعدل لصالح المحكومين : قوام ومائل، وقصد وجائر ، والصلاح والفساد ، وقوة وضعف ، واستحفظ وبدد ، والثواء والمفارقة ، والمستكبرين والمستضعفين ...) .

وقد توظف هذه الرسالة التقديم والتنكير توظيفا يثري الدلالة في الكشف عن وجوب الاعتبار والعظة ، فمهما طال بقاء الإنسان في هذه الحياة ، فهو مفارق لها، ومن ثم فعليه بالاستعداد لهذا الرحيل وما بعده بإقامة العدل والتزام حدود الله : " واعلم أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه .. فتزود له "، وتلك نهاية ملائمة لهذه الفقرة ، تضاعف من حث الإمام العادل على الالتزام بهذه النصائح والتوجيهات .

وينسجم بناء هذه الرسالة من حيث غايتها الدينية الأخلاقية والاستفادة من القرآن الكريم باستثمار آياته وألفاظه في اقتراض يتجاوز مجرد الاقتباس لتسهم في تشكيل بنية النص في أكثر من موضع ، فمثلا " القصاص حياة " ليس توظيفها هنا لكونها شرعة فحسب ، وليس لما فيها من إيجاز بلاغي ، ولكن لحث الإمام العادل على الإلتزام بها وبغيرها من الشرائع الحدية مع نفسه ورعيته ، خاصة وقد جاءت

في نهاية هذه الفقرة مجملة ما سبق تفصيله من توجيهات ونصائح ، وبذلك برزت الفقرة مترابطة متعاضدة .

المستوى التصويري:

ولقد كانت الصور المنبثة خلال هذه الرسالة متآزرة مع ما سبقت الإشارة إليه من وسائل تعبيرية ، للكشف عن صفات الإمام العادل ، وحثه على إقامة شرع الله ليتحقق الخير للجميع . وهي صور متنوعة الوسائل تمتاح من التراث ، فقد يكون عمادها التشبيه الممتد ، بحيث يتسع هذا الامتداد لتشكيل عدة استعارات في الوقت نفسه بغية جلاء مزايا هذا الإمام العادل : [الإمام العادل كالراعي الشفيق على إبله الرفيق ، الذي يرتاد لها أطيب المراعي ، ويذودها عن المراتع المهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكفيها من أذى الحر والقر] ، وتأمل أثر البيئة في التشكيل (الراعي الشفيق) حتى يحدث التصوير أعظم الأثر في نفس المتلقي .

وقد يستلهم التشبيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، " ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله) وذلك في اقتراض آسر ، كاشف عن أهمية الإمام العادل في تحقيق شرع الله : " الإمام العادل كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه .. وتفسد بفساده ، هو القائم بين الله وبين عباده .. "

وإذا كانت أولى الصورتين كاشفة عن علاقة الحاكم بالرعية ، وأهمية صلاحها فإن الصورة الثانية تجلي أهمية وجود الحاكم وقيامه بالمهام المنوطة به بين الله والناس .

وإذا كانت الرسالة التي هي موضوع بحث – لا الرسالة الديوانية أو الشخصية – تتميز بالطول فإن المقالة الحديثة تتميز بالقصر والتركيز ، فهي لا تتضمن كل الحقائق المتصلة بموضوعها ، وإنما يختار الكاتب بعضها ليقدمه بطريقة

مشوقة بعيدة عن الانفعال ، وقد يكون فيها شيء من السخرية ، وقد تتألف من مقدمة وموضوع وخاتمة .

نموذج آخر من التراث:

وكذلك قول الجاحظ في " البخلاء " كاشفا عن جوانب من الحياة – في عصره – للبصرة وبغداد ، مقدما نماذج لصور من البخل ، تتميز بالدقة والتفرد، إذ يقول :

" حديث سمعناه على وجه الدهر . زعموا أن رجلا قد بلغ في البخل غايته وصار إماما ، وأنه كان إذا صار في يده الدرهم خاطبه وناجاه وفداه واستبطأه ، وكان مما يقوله له : (كم من أرض قد قطعت ، وكم من كيس قد فارقت ، وكم من خامل رفعت ، ومن رفيع قد أخملت إن لك عندي أن لا تعرى ولا تضحى). ثم يلقيه في كيسه ويقول له : (اسكن على اسم الله في مكان لا ثمان ولا تذل ولا تزعج منه) وأنه لم يدخل فيه درهما قط فأخرجه .

وأن أهله ألحوا عليه في شهوة ، وأكثروا عليه في إنفاق درهم ، فدافعهم ما أمكن ذلك ، ثم حمل درهما فقط ، فبيناه ذاهب إذ رأى حواء قد أرسل على نفسه ألفى لدرهم يأخذه ، فقال في نفسه : أتلف شيئا تبذل فيه النفس بأكلة أو شربة ؟ والله ما هذا إلا موعظة لي من الله . فرجع إلى أهله ورد الدرهم إلى كيسه . فكان أهله منه في بلاء ، وكانوا يتمنون موته والخلاص منه بالموت والحياة بدونه .

فلما مات ظنوا أنهم قد استراحوا منه،قدم ابنه ، فاستولى على ماله وداره ثم قال : (ما كان إدم أبي ؟ فإن أكثر الفساد إنما يكون في الإدام) ، قالوا : (كان يتأدم بجبنة عنده ؟) ، قال : أرونيها ، فإذا حز كالجدول من أثر مسح اللقمة . قال ما هذه الحفرة ؟ قالوا : (كان لا يقطع الجبن ، وإنما كان يمسح على ظهره فيحفر كما ترى) ، قال (فبهذا أهلكني ، وبهذا أقعدني هذا المقعد . لو علمت

ذلك ما صليت عليه) ، : قالوا : (فأنت كيف تريد أن تصنع ؟) قال : (أضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة) " (١٣) .

في العصر الحديث :

ثم نصل إلى عصر النهضة فنسمع عن توماس إليوت وفيليب سدني (١٤) من الكتاب الإنجليز ، وغيرهما . وربما كانت الصحافة في العصر الحديث هي التي ساعدت على انتشار المقالة ، عندما أصبح لها مكانها في الصحف ، لكن نشأتها كما وضح كانت قبل الصحافة بزمن كبير (١٥) .

أهميتها وأنواعها :-

المقالة كغيرها من فنون الأدب تعتمد على ملاحظة الإنسان و تأمله لما حولـــه ، لكنها في الوقت نفسه وسيلة من الوسائل التي يدون بها الكاتب نتيجة تلك الملاحظات والتأملات ، وتتنوع المقالات بحسب كتابتها ، فمنها الذاتي التي يكشـــف فـــيها الكاتب عن نفسه ، وتصويرها لأمور الحياة من وجهة نظره ، ومنها ما هو موضوعي يعتمد على تناول الحقائق دون كشف عن الذات ، كما تتبايـــن المقـــالات بحسب موضوعاتها ، فمنها الاجتماعي والسياسي والنقدي ، والوصفي ، والأخلاقي ، كما أن لاتصال المقالات بفنون الأدب أثر في تسميتها فهنالك المقالة القصصية ، ومقالة السيرة الذاتية ، بل إنها أيضا يمكن أن تسمى بحســـب أسلوبها فمنها الأدبي ، والعلمي ، وهى في الوقت نفسه أقل قيودا من الشعر مثلا .

إن نشر المقالات بالصحف قد أفاد اللغة العربية ، التي أصبحت تحرص علـــى البساطة والوضوح والترسل والتركيز ، حتى تناسب قارئ الصحيفة أو المجلة ، الذي لا يحرص على الزخرفة والزينة .

والمقال يبدأ بفكرة في ذهن كاتبه ، ثم لا يلبث أن يتشكل في صورته النهائية

بفضل ملاحظاته ، وخبراته ، وقراءاته المتعددة ومادته التي يحصلها ، ومن ثم يأخذ المقال طابع كاتبه النفسي ، وهو في الوقت نفسه حريص على تماسك مقاله ، وإمتاع قارئه ومتلقيه .

ويمكن أن نمثل للمقالة الحديثة بهذه المقالة للكاتب صالح بن علي الأحمر (١٦)

القلب أنثى ..

المرأة كالقلب في الجسم ..

المرأة – كالقلب – تعيش حياتها مصانة لا يراها الغرباء ، ولا يمسها أحد بسوء

المرأة – كالقلب – محل العاطفة واللين .. تتولى الأضلاع شرف حراستها ، ويتمنى كل عضو أن يفديها .. لأنها أغلى أعضاء الجسم .

المرأة – كالقلب – تؤدي دورها العظيم في رعاية شؤون بيتها (جسمها) والأغبياء ، فقط ، هم الذين يتجاهلون هذا الدور .

***

الرجل كالرأس في الجسم ..

الرجل – كالرأس – يعيش حياته ظاهرا بين الناس ، يواجههم ، ويجادلهم ، ويتحمل أذاهم .

الرجل – كالرأس – محل التفكير والشدة . يتولى دور القائد لنفسه ولمن تحت يده .

الرجل – كالرأس – يؤدي دوره العظيم في إدارة بيته ، وتوفير متطلبات الحياة له، ويتوجه في كل أفعاله لمصلحة الجسم ، وأغلى عضو في الجسم !

***

لا حياة للجسم بغير القلب .

لا استقامة للجسم بغير الرأس ..

***

كم هي حمقاء تلك التي تترك مكانها الدافئ الرائع ، وتضع فيه جسما (أجنبيا) ثم تحاول أن تأخذ مكانا نشازا بجانب الرأس ! وكم ..

وكم هو أحمق ذاك الذي يسمح لها أن تفعل ذلك ، ويشجعها أيضا !!

***

ليس القلب في زنزانة قضبانها الأضلاع ، فهو يتحرك حيث شاء ، ولكن – مثل كبار الشخصيات – لا يذهب إلى مكان يشكل خطرا عليه ، إنه في حراسة دائمة تناسب أهميته ومقامه .

وكذلك ..

ليست المرأة في زنزانة ، فهي تتحرك حيث شاءت ، ولكن لا تذهب إلى مكان يشكل خطرا عليها ، إنها في حراسة دائمة تناسب أهميتها .. وتناسب مقامها .

***

سؤال (عن جد) : هل يبدو كلامي متخلفا .. رجعيا .. ظلاميا ؟

***

وإليك تحليلا للمقالة السابقة :

القلب .. أنت (لصالح الأحمر)

- بناء المقالة:

١ – هذه مقالة اجتماعية أدبية، فهي تتناول علاقة المرأة الزوجة بالرجل الزوج ، ووجوب رعاية كل منهما للآخر، وحرصه عليه ، وألا يفرط فيه، كما كشفت عن أبعاد دور كل منهما في استقامة حياة الأسرة والمجتمع والأمة .

وكأني بالكاتب يستحضر في الوقت نفسه حديث رسول الله صلى الله عليه

وســـلم " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " فيتجلى الإحساس الديني بمسؤولية الرعاية خطا أساسيا موجها لهذه المقالة الاجتماعية الأدبية .

" ويشكل التشبيه والتشخيص " بصفة عامة عماد هذه المقالة من عنوانها إلـــى آخر كلمة ، فيها ، ولذلك فقد تكررت هاتان الصورتان : المرأة كالقلب ، والـــرجل كالـــرأس ، وبـــرغم ارتباط القلب بالرأس ، فهما عضوان مهمان رئيسيان في الجسم ، لا يمكن أن يستغني عنهما أحد ، فهما معا يشكلان حركة الإنســـان ووجوده في الحياة ، مما يجلى هدف الكاتب في هذه المقالة ألا وهو حرصـــه على إبراز أهمية وجود الزوجين متآلفين متعاونين لتحقيق حياة سوية للمجـــتمع والأمـــة وســـعادتهما ، بناء على ما بينهما من مودة ورحمة أوصى القرآن الكريم بها .

وإذا كانت المقالة يمكن أن تخضع للتقسيم المنطقي مقدمة فموضوع ثم خاتمة ، فقد وضح ذلك هنا إلى حد كبير ، بل واعتمادا على الصورة البيانية التي جعلها الكاتب " عنوانا " (القلب أنت) مما يشكل به "مقدمة " لهذه المقالة، ثم يفصل سريعا سمات هذا القلب ، وهى تنعكس على دور المرأة الزوجة في الحياة ، ثم يشير إلى أن الرجل كالرأس كاشفا عن دوره وأهميته ، في الحياة أيضا ، ويعود ليبين الارتباط الوثيق الإنساني الوجداني الضروري بينها ، وهو ما يشكل "موضوع " هذه المقالة " ، ليختمها " ببيان وجوب الحفاظ على المرأة الزوجة ، ووجوب تقبلها لهذه المكانة الرفيعة التي تشكل مركزها الأساسي الحيوي في حياة الأسرة ، ووجوب المحافظة على ذلك لبناء المجتمع والأمة .

لكن أهم جزء في "الختام" يتمثل في محاولة الكاتب تقويم مقاله ورأيه في آخر سطر فيه ،خلال أسلوب استفهامي ، أتصور أنه يمكن أن يتضمن التعجب ممن يسئ الظن بالكاتب ويتصوره رجعيا لأنه يحافظ على مكانة المرأة ومكانتها في الأسرة والحياة .

وقد وضح التوجه المنطقي وهو يعرض وجهة نظره ، ويحاول تسويغها ليقنع قارئه بما يرتئيه بالنسبة لمكانة المرأة .

٢ – لغة المقالة :–

لكننا لو عدنا إلى العنوان مرة ثانية ، هل يمكن أن نقول إن الكاتب قد أخطأ في الصياغة ، فنحن نعلم أن الضمائر لها الصدارة خاصة ضمائر الخطاب ، أم أن الكاتب يبتغي كسر القاعدة ليحقق مستوى جماليا عن طريق التشبيه المعكوس في هذا العنوان ؟

وهو من خلال لغته يحاول أن يوجد توازنا بين دور المرأة ودور الرجل في الحياة، تشكله صياغته اللغوية العددية لدوريهما ، فقد وجدناه يكرر التشبيه : " المرأة كالقلب " ثلاث مرات في الفقرة الأولى ، يعقبه تفصيل لمكانتها ، وأهميتها ، وأبعاد هذا الدور ، ثم يذكر أيضا التشبيه " الرجل كالرأس " ثلاث مرات ، ويعقبه أيضا تفصيل لأهمية هذا الدور وأبعاده ، ثم في النهاية يكشف عن التحام القلب والرأس في الجسم ، وهكذا تتكامل المسؤوليات ، وتنهض الأسرة ، وتحيا الأمة .

وبرغم هيمنة كلمات [قلب ، ورأس ، وجسم] على هذه المقالة ، وهي أقرب ما تكون إلى طبيعة المصطلحات ، مما قد يشي بجفافها ، لكنها قد وردت في سياقات لغوية تنبض عاطفة ، وتفيض رقة ، خلال صور بيانية عديدة جسدت أدبية هذه المقالة الاجتماعية ورشاقة لغتها بما يجعلها تتسلل إلى عقل المتلقي ووجدانه ، مقنعة له ومؤثرة فيه بهذا البناء اللغوي الكاشف .

الهوامش والمصادر :-

١- انظر د . زكي نجيب محمود . جنة العبيط أو أدب المقالة ط لجنة التأليف والنشر ١٩٤٧م ص ٦ .

٢- السابق نفسه والصفحة نفسها .

٣- انظر مجدي وهبة وكامل المهندس معجم مصطلحات اللغة العربية في اللغة والأدب ط سنة ١٩٨٤ مكتبة لبنان بيروت ص ٣٧٨.

٤- انظر د . محمد مندور ، الأدب وفنونه مكتبة نهضة مصر – القاهرة ص ١٨٠ وكذلك انظر د . محمد يوسف نجم فن المقالة ط ٤ دار الثقافة بيروت ص ٩ .

٥- انظر السابق نفسه ص ١٢ ، ١٣ وكذلك الأدب وفنونه ص ١٨٠ .

٦- انظر د . محمد يوسف نجم . فن المقالة ط ٤ ص ١٣ .

٧- انظر السابق نفسه ص ٧ .

٨- انظر د . عز الدين إسماعيل . الأدب وفنونه ص ٢٤٩، وكذلك انظر د . عطاء كفافي المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث . هجر للطباعة ط ١ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٢٥ .

٩- انظر د . محمد مندور الأدب وفنونه ص ١٨٢ .

١٠- انظر : المقالة الأدبية د . عطاء كفافي ص ٢٦ .

١١- انظر د . محمد يوسف نجم . فن المقالة ط ٤ ، ١٨ .

١٢- انظر السابق نفسه والصفحة نفسها .

١٣- البخلاء تحقيق الهاجري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ١٩٤٨م ص ١١٩ ، ١٢٠ .

١٤- السابق نفسه ص ١٧ .

١٥- انظر د . عز الدين إسماعيل الأدب وفنونه ط ٢ سنة ١٩٥٨م ، ص ٢٤٨ وانظر د . محمد مندور ، الأدب وفنونه سنة ١٩٧٧م ص ١٨٠.

١٦- كاتب من المملكة العربية السعودية .

المقالة الإصلاحية في أدب "الشيخ محمود شاكر" *

مدخل

أرأيـــت الذي يقضي ما يقرب من ثلاثة أرباع قرن من عمره يقرأ ويكتـــب ويـــبدع مـــن أجل إصلاح المجتمع والأمة ، ولا يتحول عن أهدافـــه السامية وغاياته العليا ؟ مع اتساع دائرته الفكرية التي شملت الأدب مـــبدعاً ودارســـاً ، والنقد واللغة والتفسير والبلاغة والتاريخ والسياســـة ، والاجتماع وغيرها ، وهو في كل ذلك حريص على لغته العربـــيـــة ، حفـــي بها ، حتى لتذكرك بأزهى عصورها أصالة وصحة ودقـــة ، مستوعب لتراثها ، متصل به أوثق اتصال ، إنه الشيخ محمود محمـــد شـــاكر وهو قبل كل ذلك وبعده ، من هؤلاء الذين ارتبطوا بالقـــرآن الكـــريم والحديث الشريف وعلومهما ارتباطاً شكل مناحي فكـــره ، مـــع متابعة دقيقة للحياة ومتغيراتها من حوله ، بحيث يكشف نـــتاجه الفكـــري خاصة "مقالاته" عن راصد دقيق لهذه الحياة ، متفاعل معها، يؤصل لفكرنا المعاصر ، ويتصل بالثقافـــات الأجنبيـــة بوسائل مخـــتلفة، كي يكشف عن عراقة تراثنا وحيويته ، ويرود دروباً للتعامل معـــه بغية إثراء حياتنا الفكرية والكشف عن فاعليته فيها ، كما يوجه

هذه الحياة الفكرية بغية إصلاحها في مستوياتها المختلفة ؛ الفرد والمجتمع والأمة ، كي تتشكل وفقا للرؤية الإسلامية الواعية المستنيرة ، ولذلك فلن يكون راصد فكر هذا الرجل متجاوزا الحقيقة إذا اعتد بالإسلام مفتاحاً لفكره ورؤيته.

أدب الشيخ محمود شاكر :-

ويتنوع أدب الشيخ محمود شاكر بين الشعر والنثر ، فله ديوانان شعريان تم جمعهما بعد وفاته ، كما أن له قصيدة "القوس العذراء" التي تتألف من مائتين وتسعين بيتا من الشعر تسبقها مقدمة نثرية ، ويتلوها خاتمة نثرية (١).

أما مقالاته فتتجاوز المائتي مقال في مجلات وصحف عربية منها: المقتطف ، والزهراء ، والثقافة ، والرسالة ، والهلال ، والمجلة ، والأهرام ، وغيرها ، وقد تم جمع معظمها في كتب مستقلة مثل "المتنبي" ، و"أباطيل وأسمار" ، و" نمط صعب ، ونمط مخيف" ، وهذه جمعت في حياته ، ثم صدر أخيرا بعد وفاته – رحمة الله عليه – مجموعتان كبيرتان هما :

جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر : وقد جمعها وقرأها وقدم لها د. عادل سليمان جمال ، الذي رتب هذه المقالات ترتيباً تاريخياً حسب صدروها في المجلات المختلفة .

مثل هذا الرجل لا يستطـــــيع الإنسان أن يحيـــط بكل كتاباته وآرائه وتوجهاته ووسائله التعبيرية ، لكننا يمكـــن أن نشير إلي نماذج من مقالاته

لإضـــاءة بعـــض جوانبه الإبداعية ، والكشف عن خصوصية اتصاله بالـــتراث ، ولغته ، وآلياته الخاصة في معالجة ذلك ، وفي الوقت نفسه تتجلى قوة الحس الإسلامي الإصلاحي خلال هذه النماذج فيما يمكن أن نسميه " المقالة الإصلاحية " في أدب الشيخ محمود شاكر .

وفيها تتضح رؤيته الإسلامية الإصلاحية ، وحرصه على التراث ، وولاؤه له .

مفهوم المقالة الإصلاحية :

وإذا كـــان كـــثير من النقاد والمفكرين يرون أن " المقالة " بصفة عامة ليست ذات منهج محدد ، غالبا ، بحيث إنها تخضع فقط لإحساس الكاتب، وما يشغله في الواقع المعيش، وقد لا تخلو من السخرية (٢) ، فإننا نجد الشيخ محمود شاكر ينتهج في مقالاته نهجا يعتمد على مناقشة القضـــية التي يعالجها ، مميزا جوانب السلب ، مؤكدا جوانب الإيجاب التي يقترحها ، وذلك في بناء منطقي فني يربط بين أجزائها .

وتنـــتهي المقالـــة وقد تجلى الحل الإصلاحي المستمدة جذوره من أصـــول ديننا الحنيف قرآنا وسنة ، في صياغة أدبية خاصة شكلت كل أجزاء المقالة ، وهي خصوصية قرينة بأسلوب الشيخ شاكر في مقالاته الإصلاحية كما سيتضح إن شاء الله .

والمقالات التي يتناولها هذا البحث تتضمن دراسة لما يلي :-

١ – نماذج لمقالاته الإصلاحية السياسية .

٢- نموذج لمقال إصلاحي اجتماعي .

٣-أ- كتاب " أباطيل وأسمار" وهو يضم خمسا وعشرين مقاله تتناول موضوعا واحد تقريباً ، وهي ذات توجه إصلاحي في مجالات الثقافة والفكر والأدب والنقد ، وتسبق هذه المقالات "رسالة الكتاب " التي تكشف عن غايات هذه المقالات وأهدافها وملابساتها.

٣-ب- مجموعة أخري مماثلة ذات موضوع واحد بعنوان "المتنبي" ، وهي تدعم توجهات المجموعة السابقة ، لكن خلال موضوع آخر ، كما يكشف عن جوانب إصلاحية أخري وبأسلوب أدبي أيضا ، ومن الإشارة إلى ما سبق تتضح ملامح المقالة الإصلاحية كقسم رئيس في أدب الشيخ محمود شاكر وخصوصيتها لديه .

٣-ج- كتاب "نمط صعب ، ونمط مخيف ": وهي مجموعة أخري تتألف من سبع مقالات نشرت في مجلة المجلة عام ١٩٦٩م ، ١٩٧٠م ، ثم جمعت في كتاب تحت العنوان السابق وصدرت ١٩٩٦م، وتسير في الاتجاه العام الإصلاحي للمقالة في أدب الشيخ شاكر ، وسيرد تفصيل الحديث عنها فيما بعد.

أولاً : مقالاته الإصلاحية السياسية :

من الطريف أن كثيرا من عناوين مقالاته تتضمن "مفارقة" تساهم فى دعم معالجته للفكرة التى تناقشها ، ويمكن أن نضرب بعض الأمثلة على ذلك. بالاشارة الى بعض مقالاته الإصلاحية السياسية: ففى مقالته " ويلك آمن ....." (٣)، تنبيه إلى ما فى المجتمعات الشرقية من غفلة ، يمكن أن تقضى عليها ، فتصيبها " بالويل و الهلاك " إن لم تتمسك بقيم الإسلام و تحرص على الإيمان.

وهو في هذه المقالة يتابع بالمناقشة والتحليل ، آثار الحرب العالمية الثانية علي الشعوب ، خاصة المسلمين والعرب ، وينعي عليهم الخضوع للغرب

وأعوانه ، والاعتماد عليهم ، كما يقدم لهم تصورا لأبعاد موقفهم من ذلك ، في ضوء دينهم وقيمه ومبادئه ، خاصة العدل والمساواة ، ويستحث المسلمين على العمل وتأكيد الذات ، والثقة بأنفسهم ، وترقية وعيهم ، والتمسك بالحق .

ونجد التوجه نفسه في مقالته " هذه هي البداعة .. " (٤) ، حيث يشير إلى ما بين العالم بعضه بعضا ، من تطاحن وتقاتل في كل مكان ، خاصة والفكرة القومية تزكي من هذا السعار ، بينما الإسلام يسوي بين الناس ، وذلك روح الحضارة التي يمكن أن تحقق الأمن والاطمئنان للبشر ، أما ما هو حاصل بين الشعوب من تطاحن وتقاتل ، وتزاحم فيصوره " بحشر يوم القيامة ".

وفي مقالته الحضارة المتبرجة .. " (٥) فإن ما بين طرفي العنوان يوحي بالتناقض في الحضارة الغربية ، فكيف تكون حضارة ، والمفروض أنها تكشف عن تقدم وازدهار ، لكنها في الوقت نفسه ، فيها من الخروج والشذوذ والتدني ما يضاد التقدم وينقضه ، من هنا تتضح فكرة الاعتدال والتمسك بقيم الإسلام كعاصم من السقوط والضياع .

وهو يكشف في هذه المقالة عن بروز الحضارة الغربية في المجال المادي ، لكنها حضارة عرجاء ، لذلك ينعي عليها فقرها الروحي ، بل لقد أصبح محورها في نظره : التنافس بغير شرف ، والتطاحن على

اللـــذة بغير غاية روحية ترقى بالإنسان ، وإذا كانت المرأة قد فقدت نفســـها في غمـــرة هذا التطاحن الذي قد يدور حولها ، فسوف يعم الضـــياع الجميع ، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، بل لقد رأى في ذلك شيئا من آمارات الساعة ، من ثم فالتمسك بقيم ديننا هو السبيل لمواجهة هذه المتغيرات باعتدال ووعي .

وتـــأمل مقالـــته " أخـــوك أم الذئب " (٦) حيث يجلي العنوان التـــناقض في حال الشرقيين عندما يثقون بالغرب ، ولا يثقون بأنفسهم وذويهم ، من ثم يحذرهم من الانخداع بالمدنية الحديثة ، ويهيب بالشرقيين أن لا يغمضوا أعينهم عما يزل بهم ، حتى لا ينصرفـــوا عن إدراك ما يراد بهم من تآمر وخداع ونفاق ، في الداخل والخارج ، كما يحثهم على أن يأخذوا ويدعوا من هذه الحضارة بوعي ، وثقة بالنفس .

ويمكـــن أن يكون " الذئب " أيضا رمزا لأولئك الشرقيين الذين انسلخـــوا من شرقيتهـــم ، وخدعـــوا من وثقوا بهم من أبناء وطنهم ، ولم يحركهم سوى منفعتهم الشخصية .

ويجب أن نلفت النظر هنا إلى استنارة الشيخ وهو يدعو إلى الأخذ والترك من الحضارة الغربية ، حتى لا يظنن ظان به الانغلاق والجمود ، وإنما هو يتعامل معها بوعي واستنارة .

وهو لا يلبث أن يؤكد في كل مقالاته التي يبغي من ورائها التنوير والإصلاح ، الدفاع عن قيم الدين ومبـــادئه ، والإعلاء من الجوانب

الروحـية فـي مواجهـة طغيان المنفعـــة والأثرة ، وذلك ديدنه في معظم مقالاته .

قراءة في نموذج من مقالاته الإصلاحية السياسية :-

ونستطيع أن نقرأ علي سبيل المثال إحدى فقرات مقالته " أخـــوك أم الذئب ..."نشير إلى بعض وسائله التعبيرية وكيفية توظيفها في مقالاته يقول في هذه الفقرة :-

"وقبيح بنا نحن الشرقيين - أن نغمض أعيننا عن النظر إلى هذه المدنية التي أخذت تنهار تحت قصف المدافع وهد القنابل وزلازل الحرب ، وأن ننام عن مستقبل أيامنا ، وألا ننفض هذه المدنية نفضا لنأخذ منها وندع ، ولنعرف سوء ما تركت أنيابها في جسم أوطاننا ، ونتبين حقيقة النفوس المسمومة التي أصبحت في الشرق فاشية تعمل علي إدماجه في حضارة غربية عنه ، لا يطيقها إلا علي نكد ولا يحتملها إلا عنتا وإرهاقاً وغروراً.

إن رؤوسا من الناس في هذا الشرق قد طالت بهم أيامنا حين أقبلت عليهم الدنيا ، فأخذوا علي الرأي العام منافذه كلها ، وصرفوه ما شاءوا كما شاءوا ، لم يغلب عليهم إلا ذلك الداء الوبيـــــل الذي قبســوه من مدنية الغرب ، داء المنفعة ، . طلبوا المنافع لأنفســـهم ، فاستبدوا في غير ورع ، وتجبروا في غير تقوي ، وعملوا علي أن يكـــــون سطانهم في الأرض كسلطان الله فـــــي السماء : يمحـــو ما يشاء ويثبت ،

علوّا في الأرض واستكبارا ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون ؟ . " (٧)

حقا تتعدد وتتنوع هذه الوسائل التعبيرية ، لكن الذي يتجلّى في كتاباته ، وهو ما أشرت إليه فيما سبق – انطلاقه من قيم الدين الإسلامي في صياغة رؤيته ، واستثماره للقرآن الكريم ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتراث في تشكيل فنون القول لديه ، مع اتصاله بالمتغيرات من حوله ، ويجلى ذلك خصوصية متميزة في فن المقال لديه .

هذه الفقرة هي الرابعة في هذه المقالة التي تتألف من ثمانية عناصر موضوعية هي :

١ – العالم المغرور .

٢ – تقاتله في سبيل الأهواء .

٣ – سيادة المنفعة فيه .

٤ – وجوب اليقظة وقوة الوعي لمواجهة ذلك .

٥ – تآمر أبناء الشرق – الذين انسلخوا من شرقيتهم – عليه .

٦ – من ثم يجب اختيار المخلصين للقيادة .

٧ – والحذر من النفاق ودهاء هؤلاء القادة السابقين .

٨ – ما تزال في الأمة قوة الروح والخلق، وهما سبيل التقدم والنهضة .

ويلاحظ هنا الترابط والتسلسل بين عناصر هذه الفقرة من المقالة ، ويمكن أن نعتبر العنصر الأول مقدمتها ، والعنصرين السابع والثامن

خاتمتها، و ما بينهما خمسة أجزاء موضوعها ، وهكذا تتجلى وحدة المقالة لديه ومنطقيتها.

و تتعدد وسائل الكاتب التعبيرية و تتنوع ، فهو تارة يستحضر التراث فى "اقتراض" واع دقيق؛ فإذا كان أبو العلاء المعري ينذرنا من أن نهين آباءنا وأجدادنا ، عندما نطأ الأرض التى هى فى الحقيقة أجسادهم ؛ إذ يقول:

خفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

وقبيح بنا وإن قدم العهـــــــد هوان الآباء والأجداد

فإن الشيخ شاكر يستخدم التعبير نفسه: "وقبيح بنا" ولكن ينفرنا نحن الشرقيين من الغفلة، لأن اليقظة تقتضى منا ألا نغمض أعيننا عن النظر بوعي وثقة في المدنية الحديثة، حتى ننفضها نفضاً فنميز ما نأخذ منها، وما ندع.

ثم تتابع عبارات قصيرة، ذات إيقاع متناغم، لتوحى بلفظها ودلالتها وإيقاعها بتصدع هذه المدنية وانهيارها تحت [قصف المدافع، وهد القنابل، وزلازل الحرب] .

بل إنه ليصورها بحيوان مفترس [ترك أنيابه فى جسم أوطاننا] ، مما يضاعف من تنفيرنا من آثارها السيئة.

ولذلك فهو يحذر من هؤلاء الذين كثروا بيننا ، ويريدون دمجنا فى حضارة غريبة عنا.

وإذا كان الحجاج بن يوسف الثقفي ينذر أهل العراق ، محذرا من الفتـــنة ، ويهددهم بالقتل عندما يقول " أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافهـــا" فإن الشيخ شاكر يعرض أيضا مهددا من طرف خفي أولئك الذين غلب عليهم داء المنفعة لأنفسهم ، كما أصبحوا الشغل الشاغل لوســـائل الإعـــلام ، يقول لهم : " إن رؤوسا من الناس في الشرق قد طالت بهم أيامهم ، حين أقبلت عليهم الدنيا " .

كما يستخدم " التكرير " ليضاعف من تحذيرنا من هؤلاء المؤثرين أنفســـهم ، عـــندما يوظف الفعل " شاء " متعديا بنفسه ، وبحرفي الجر الـــباء والكـــاف ، ليكشف عن عبثهم المطلق بالرأي العام ، فيصف موقفهـــم مـــنه بأنهم " صرفوه ما شاءوا ، بما شاءوا ، كما شاءوا " ، وهـــذا التكرير في الوقت نفسه يسهم في إيقاع داخلي يحرص الكاتب عـــلى تشكيله خلال عباراته ، لمضاعفة التأثير في المتلقي . بل إن هذا الإيقـــاع الذي يسري في عبارته ، ليدعمه " بالتقسيم " و " الموازنة " بـــين الجمـــل ، وهو يصف هـــؤلاء الذين غلبت عليهـــم منفعتهـــم الشخصية ، بالاستبداد والتجـــبر ، فيقول : " استبدوا في غير ورع ، وتجـــبروا في غـــير تقوى " ، وتأمل عندما يصبح ميزانه الذي يحاكم به الآخـــرين هـــو الورع والتقوى ، وذلك مظهر من مظاهر قوة الحس الإســـلامي في فكره عامة ومقالاته خاصة ، ويجسد توجهه الإصلاحي في هذه المقالات .

كمـــا يجـــلى فظاعة أنانيتهم " بالتقابل " الكاشف عن جعلهم " سلطانهم في الأرض كسلطان الله في السماء " ، افتراء وتجبرا .

وهنا يسري الأسلوب القرآني الذي يرقى بأسلوب الكاتب لحسن تمـــثله ، واســـتثمـــاره لـــه ، وفي الوقت نفسه يضاعف من إحساس المـــتلقي بالدلالـــة عندما يهبط بهؤلاء – الذين ينفّر الكاتب منهم – ، ويهبط بهم إلى الحضيض، بما يجعل المتلقي يسخط عليهم أشد السخط ، ويحذرهـــم أشـــد الحذر ، وذلك عندما يصور الكاتب سلطان هؤلاء الأنانيين " يمحو ما يشاء ويثبت ، علوّا في الأرض واستكبارا ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون " .

وهكـــذا يـــتأكد وجـــوب اليقظة والوعي بما يهيئ لعناصر المقال الأخـــرى أن تكـــون فاعلـــة في ترقية المتلقي واستنارته ، وتحذيره ممن يخادعونـــه ، وقد تكون أخلاقهم أخلاق الذئاب ، برغم أنهم يتراءون بالأخوة والمودة نفاقا وخداعا .

ولعله قد وضح أن هذه المقالات الإصلاحية السياسية ذات طابع أدبي يجعلها ذات ملامح خاصة بالشيخ محمود شاكر فأسلوبه في كتابتها يتميز : بالمنطقية في عرض الفكرة ، ونموها ، وترابط أجزائها عضويا ، خـــلال لغـــة مشرقة أصيلة ، تذكرنا بأزهى عصورها ، بغير تكلف ، واقتراض مثمر ثري من القرآن الكريم ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن التراث ، ووعي متقد متوهج بقضايا الأمة خلال

صور أدبية تتآزر مع غيرها من الوسائل التعبيرية في الكشف عن بنية مقالاته الإصلاحية السياسية الأدبية ، ويقترن كل ذلك بحسم وحِدَّة في العرض والمناقشة.

ثانياً : المقالات الإصلاحية الاجتماعية :

وهو لا يعالج في مقالاته هذه الأمـــــور العامة التي تمـس الأمة والوطن فحسب ، بل قد يتصدى بالرد والمناقشة لبعض الأمـــور التي تجمع بين الخصوص والعموم ، فيما يشكل قضية اجتماعية ، وتأمل عنوان مقالته : " عدوان لطيف ... " ومـــــدي ما بين طرفيه من تناقض ، ذلك أنه كان قد نشر تحقيقا لكتاب " المكافأة " لأحمد يوسف عن طريق المكتبة التجارية سنة ١٩٤٠م ، ثم جاءت وزارة المعارف في مصر ، وقررت الكتاب نفسه علي طلاب السنة التوجيهية ، بعد أن عهدت إلى الأستاذين أحمد أمين وعلي الجارم بتصحيحه وشرحه ، ووزعت منشوراً علي المدارس ، محذرة من استخدام نسخة المكتبة التجارية التي حققها الشيخ محمـــــــود شاكر لما فيها مـــــن " فحش وتحريف " ، مما اعتبره الشيـــخ "عدوانا" عليه ، لكن مسوغات التحذير يبدو أنها كانت باطلة ، ومضحكة في الوقت نفسه لأنها مجرد ادعاء ، مما جعل الشيخ يحمل علي الوزارة ومسلكها ليـــــس في هذا الكتاب فحســـــب ، بل في كل ما تصدره من كتب تقريبا ، لافتا الأنظار إلى وجوب الدقة في التصويب ، والتزام واضح سديد فيما تقـــــدمه وزارة المعارف من

كتـــب للتلاميذ خدمة للغة الأمة وفكرها وترقية لعقول أبنائها ، وقد اشـــترى معظم الطلاب والأساتذة نسخة الشيخ التي لم يكن سواها في المكتبات ، عندما تأخرت نسخة الوزارة ، من ثم كان عدوان الوزارة لطيفا ، ومثيرا للسخرية منها ، لأن نسخة الشيخ ربما كانت أدق (٨).

وبرغم شدة الشيخ في أسلوب معالجة مقالاته الإصلاحية للقضايا الـــتي يعـــرض لها ، وعدم تهاونه أو تساهله مع أعداء الأمة ، لكنه هنا برغم ارتفاع وتيرة أسلوبه حرص على التلطف في النقد والتوجيه ، من ثم وجدنـــا هـــذا العنوان الذي لا يتجاوز فيه " العدوان واللطف " ، "والـــتجاوز والدماثـــة " ، فيما يشكل ملمحا آخر في مقالات الشيخ الإصـــلاحية الأدبية ، وأنه قد يمزج بين الشدة واللين دون أن يتجاوز ســـلامة القصد وحسن التوجيه والرغبة في الإصلاح ، وأدبية الصياغة الخاصة .

ثالثا :" أباطيل وأسمار " :-

يـــتخذ الشـــيخ محمود شاكر من المقالة – بخصائصها الفنية – في مـــيدان الـــثقافة والأدب والفكـــر وســـيلة للدفاع عن أمته العربية والإسلامية ضد أعدائها ، وهو توجه إصلاحي يحسب له في مجـــال فن أدبي نـــثري هو " المقال الثقافي الاجتماعي الأدبي " ، الذي يتضح في كـــتابه " أباطـــيل وأسمار " وقد جمع فيه مقالاته بجزئيها التي نشرها في الرســـالة في عامي ١٣٨٤ هـــ ، ١٣٨٥ هـــ ، وهي خمس وعشرون

مقالة معظمها في مناقشة د .لويس عوض والرد عليه ، والسخرية منه ، فـيما رآه الشيخ شاكر تجاوزات وأخطاء في منهج البحث ، وتوظيف اللغـة العربية ، والتعامل مع الروايات المختلفة ، ومناقشتها ، وطريقة اعـتمادها ، وذلـك فـيما كتبه د . لويس عوض ونشره في صحيفة الأهرام – التي كان مستشارا ثقافيا لها – ، وهذا بالنسبة لـ :

١ – ترجمته قصيدة " بلوتولاند وقصائد أخرى " من اللغة الإنجليزية .

٢ – عرضـه لرسـالة الغفران لأبي العلاء المعري تحت عنوان " على هامش الغفران " .

٣ – وجهـة نظـره في الشـعر التراثي والشعراء المحافظين المعاصرين كشوقي ومحمود حسن إسماعيل وبدر شاكر والسياب قبل أن يتحول .

والشيخ شاكر يعتبر د . لويس عوض بتجاوزاته وأخطائه ، وسوء فهمـه في تعامله مع اللغة والروايات المختلفة للأخبار ممثلا للاستعمار الإنجليزي وأعـداء الأمـة ، خاصـة بعد أن أهدى ترجمته قصيدة : " بلوتولانـد وقصـائد أخرى " إلى كريستوفر سكيف سنة ١٩٤٧م الذي كان أستاذا في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وقد رأى فيه الشيخ شاكر جاسوسا بريطانيا ومبشرا ، لكن سيادة بريطانيا هي التي وضعته في هـذا الموضع بالجامعة . ولذلك فالدكتور لويس عوض – في نظر الشيخ شاكر – يمثل فريقا من عمـلاء الاستعمار والمارقين على وحدة

الصـــف وأعداء الأمة ، وهو امتداد لزويمر وسلامة موسى وغيرهما في حربهم للأمة ولغتها وتراثها بل وعقيدتها .

وبالنســـبة لترجمة د . لويس عوض " بلوتولاند وقصائد أخرى " فقد هاجم الشيخ شاكر دعواه في مقدمـــة هـــذا الكتاب : أن الشعر العربي قد مات بعد شوقي ، وأنه يجب أن نحطم عمود الشعر العربي ، بل لقد رأى الشيخ في ذلك جنونا وهذيانا (٩) وحقدا ، وهجما على العـــرب ولغة الأمة ، وأن ذلك صدى لدعاوى المستشرقين والمبشرين وانحـــرافاتهم ، وأن د . لويس عوض وأمثاله بكل ذلك دمى يحركونها هم وأعداء الأمة في خارج مصر (١٠) وفي داخلها .

وهـــذا العنوان " أباطيل وأسمار " يكاد يستوعب جملة المقالات المنشـــورة في هذا الكتاب من حيث تضمنها لأباطيل في نظر الشيخ في مجـــال الثقافة والفكر والأدب يحاول دحضها . وهي في الوقت نفسه وغيرهـــا مما يناقشـــه فيه مما يمكن أن يتخذ مادة للسمر والتفكـــه في المجالس، خاصة وهي تثير الضحك والسخرية كما يرى الشيخ شاكر .

" والعنوان بطرفيه " يحقق شمولية هذه المقالات لهذين الجانبين، وفي الوقـــت نفسه يشير إلى ملمح السخرية التي قد يشترط بعض الكتاب وجـــوب تحققها في المقالة بصفة عامة ، وإن كنا نلاحظ أن الشيخ قد اشتد في سخريته وتهكمه ، بما قد يتجاوز الحد المقبول .

وبرغم أن هذه مقالات ، لكنهـــا تترابط فكرة وأسلوبا ، خاصة

والقضـــايا الـــتي تناولـــتها يـــتكامل عرضها ومناقشتها خلال تتابعها وتسلســـلها ، بـــل إن عناوين هذه المقالات قبل موضوعاتها يمكن أن تكشف عن هذا الترابط والتسلســـل، فعلى سبيل المثـــال نجد عناوين المقالات الأربعة الأولى على النحو التالي : "ليس حسنا" ، "بل معيبا" ، "بل قبيحا" ، "بل شنيعا" .. ، وكأني بهذا التدرج المتصاعد والنمو قرين بارتفاع لهجة الشيخ في السخرية والتهكم والتصدي لأفكار د . لويس عـــوض وتجاوزاته ، بل وتتعدد المآخذ التي يأخذها الشيخ عليه وعلى غيره ممن يناظرونه ، كما تزداد كما وكيفا .

ثم تأتي هذه العناوين لمقالاته بعد ما سبق :

.. " لا تنقضـــي" ، "هذه هي القضية " ، و"هذا هو تاريخها " ، و"هذه هي آثارها" ، و"هذه هي أخبارها" ، و"هذه هي أخطارها" ، .. وهكذا

وهنا نلاحظ الملاحظة السابقة نفسها ، من حيث التدرج والنمو في القضـــايا المعالجة ، لكن يضاف إليها في هذه المجموعة من المقالات تعدد وتنوع جوانب المعالجة ، وبصورة منطقية تؤكد الترابط بين هذه المقالات ، فهنا تتابع القضية : تاريخها وآثارها وأخبارها وأخطارها .

والبحـــث في أســـلوب الشيخ شاكر ومقالاته يغري بتتبع هذا التدرج والنمو كملمح في مقالاته الإصلاحية ، لكن ذلك يبدو لي غير يسير الآن لضيق الوقت أولا ، وللحاجـــة الماســـة للاتصال بكثير من

المصادر خاصة التاريخية والأدبية والنقدية ، حول هذه القضايا والمعارك الـــتي تعددت أطرافها .. بالإضافة إلى أنني لست معنيا هنا بغير الملامح التي تشكل مقالة الشيخ الإصلاحية ، التي ربما لا تتطلب مني أكثر مما قدمت ، لعلي أو غيري يلتقط هذا الملمح ، ويفصل الحديث فيه فيمـــا بعد إن شاء الله ، خاصة وهو جدير بذلك .

إن هـــذه المقالات الخمس والعشرين تناقش تجاوزات د . لويس عـــوض كمـــا رآهـــا الشيخ شاكر ، ولذلك فلا تكاد تخلو مقالة من الإشارة إليها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، لكنها في الوقت نفسه ، قـــد تَـــرُدُّ على آراء بعض الشخصيات الأخرى ممن يراهم الشيخ في مســـتوى مـــن التجاوزات والأخطاء في حق الوطن والأمة قريب من مستوى تجاوزات د . لويس عوض وأخطائه ، بل قد يشتركون معه في هذا المستوى من التجاوز كسلامة موسى وغالي شكري ، وهناك بعض الأشخاص الذين حاول الشيخ أيضا أن يرد عليهم بمقالاته لأنهم أيدوا بعـــض آراء د . لويـــس عوض ، مثل د . محمد مندور ، ومحيي الدين محمد ، وماهر سامي يوسف وغيرهم .

هـــذا من حيث الأشخاص ، أمـــا من حيث القضايا وتعددهـــا وتـــنوعها واتساعها فهي كثيرة جدا ، برغم أن هدفه الذي حدده هو الدفاع عن الوطن والأمة في عقيدتها ولغتها وفكرها وثقافتها ، وتراثها وتاريخهـــا وأدبها ، ويمكن أن نشير إلى بعض هذه الموضوعات والقضايا

التي تضمنتها هذه المقالات ؛ مثل :

١ – منهج البحث في التراث .

٢ – تحرير البحث في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري .

٣ – الحفاظ على اللغة العربية وتفنيد الدعوة إلى العامية وخطرها والرد على دعاتها .

٤ – دور العرب في الثقافة الإنسانية والدفاع عنه .

٥ – كشف دور المستعمرين والمستشرقين والمبشرين في حربهم ضد الإسلام والمسلمين .

٦ – اللغة وسيلة الفكر .

٧ – مناقشة رأي إليوت في الدين والثقافة وموقف أهل الإسلام من ذلك .

٨ – معنى الدين عند أصحاب الكتب الثلاثة .

٩ – كشف بعض الكتب التي قررها كريستوفر سكيف وفيها مساس بالرسول صلى الله عليه وسلم ، والرد عليه وعلى أصحابها .

١١– وصف الحوادث التي أحاطت بمصر والعرب سنة ١٩٦٥ .

إلى غير ذلك من القضايا العامة والخاصة ، التي يمكن أن تستدعي قضايا أخرى وموضوعات أخرى ، مما يكشف عن سعة مقالاته وتنوعها وتعددها بل وتشعبها ، لكنها برغم ذلك لا تخرج عن هيمنته عليها موضوعيا وفنيا .

من ثم فسأكتفي بتناول مقالة واحدة كنموذج لمقالاته في كتابه " أباطيل وأسمار " وهي أقصر هذه المقالات التي بعنوان : " .. وأقول نعم ! " لعل تناولها يكشف عن جانب من ملامح المقالة الإصلاحية لدى الشيخ شاكر الذي جعلته عنوانا لهذا البحث .

قراءة في مقالة إصلاحية في مجال الأدب والنقد والثقافة

: وهي بعنوان " وأقول نعم "

رؤية :-

ربما تكشف هذه المقالة عن قوة الصلة بين الشيخ محمود شاكر والقراء ومجلة الرسالة ، وذلك لحرصه على أن يحقق ما طُلِبَ منه لمتابعة سلسلة مقالات بعنوان : " أباطيل وأسمار"، وفعلا لا تخرج هذه الرسالة عن منهج مقالاته تحت هذا الموضوع في هذا الكتاب ، فهي تكشف عن دفاعه عن العروبة والإسلام دينا ولغة وثقافة وفكرا وأدبا ، كما تتميز بالسمات الخاصة بمقالته الإصلاحية ، وهي هنا تخص تقويمه لما ينشره د . لويس عوض بما يمثله – من وجهة نظر الشيخ محمود شاكر – : عدوا للأمة فكرا وثقافة ومعتقدا ..

بنية المقالة: المستوى الفكري

تتألف هذه المقالة من " مقدمة " يشير فيها إلى ما أصابه من حمى عاقته عن الاستمرار في الكتابة ، وهي لا تختلف في أثرها عن أثر ما تنشره صحيفة الأهرام لمستشارها الثقافي د . لويس عوض ، وهو

بذلك يشير بإيجاز في المقدمة إلى موضوع مقالته .

مـــن ثـــم أخـــذ يفصّل هذا الموضوع موضحا موقفه مما كتبه د. لويس عوض نفسه :

١ – فهو يمثل عدوانا ، وخيانة للأمة والوطن وشرفها مثل عدوان بشارة تقلا علي عرابي في السجن وخيانته له ، برغم تأكيده سابقا وفاءه له ، وهذا ما يفعله د. لويس عوض اليوم . ومن ثم فهو امتداد له ، خيانة وعدوانا على الأمة والوطن .

٢ – ما يقدمه د. لويس عوض ، وما يُنشر تحت إشرافه بصحيفة الأهرام يتسم بعدم الدقة والبعد عن الأمانة ، فقد نشرت هذه الصحيفة تحقيقاً صحفياً يملأ صفحة عن المخطوطات العربية ، وأشادت بكتاب لا تزيد صفحاته عن الستين ، ومحصلة ما كتبه هذا المقال لا يزيد علي عمودين في الأهرام ، بل ويصف كتاب "إصلاح المنطق" لابن السكيت بأنه كتاب في علم "المنطق" ، مع أن الكتاب في اللغة .

٣ – ود. لويس عوض ، نفسه قد هاجم تراثنا الشعري العربي وهو يتحدث عن بدر شاكر السياب ، عندما بين أن السياب وجيله قد قاوم الكلاسيكية ممثلة في معمار الشاعر أحمد شوقي ، والرومانسية ممثلة في أحلام الشاعر علي محمود طه ، كما سخر في هذا المجال من شطر بيت أب تمام :

"السيف أصدق أنباء من الكتب " وتمثيله لأصول الكلاسيكية العربية

في الشـــعر ، بالإضـــافة إلى سخريته من قول الشاعر الأندلسي لسان الدين بن الخطيب .." لم يكن و وصلك إلا حلما في الكرى أو خسلة المختلس " ، خاصة وهو يمثل في نظره أصول الرومانسية العربية .

لكـــن الشيخ شاكر يؤكد أن د . لويس عوض لم يفهم السياق الفكـــري والـــتاريخي لهذا أو ذاك ، من ثم فقد أساء الفهم كما أساء للوطن والأمة دينا ولغة وتراثا وثقافة ، فشطر بيت أبي تمام من قصيدة فتح عمورية التي كشفت عن قوة الإسلام والمسلمين ، عندما استجاب الخليفة المعتصم لاستغاثة المرأة العربية في بلاد الروم ، عندما وقع عليها ظلمهم واستبدادهم .

٤ – وقد وضح الشيخ شـــاكر أن بيت شـــوقي الـــذي سخر منـــه د . لويس عـــوض " رمى القضـــاء بعيني جؤ ذر أسدا " لا يمثل شعر شوقـــي ، وإنمـــا يمثـــل معارضتـــه فقط " لبردة البوصيري " ، ولكن د . لويـــس عـــوض هاجمه لأن هذا البيت من قصيدة نهج البردة التي يمتدح فيها شوقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك فقد رأى الشيخ شاكر أن هجومه ذلك عصبية دينية ضد الإسلام .

٥ – بـــل لقد أثبت الشيخ محمود شاكر أن د . لويس عوض لم يفهم شـــعر السياب أيضا ، وبذلك فهو في نظره لا يفهم الشعر القديم ولا الحديث ، برغم أنه يدعي كونه مرجعا يصار إليه في هذا المجال ، .. إلى غير ذلك من نواحي غروره – كما يرى الشيخ – ، خاصة وهو يقلد

طـــه حسين في استخدام ألفاظ مثل : " بلاغة القدماء " ، " وموسيقى القدماء " وغير ذلك مما يكشف عن عدم أصالته ، فشتان بينه وبين طه حسين .

٦ – وقد ربط الشيخ شاكر بين تجاوزات د . لويس عوض وافتراءاته – في نظـــره – في حق التراث ، وعدم فهمه له ، بموقف سلامة موسى نفســـه مـــن هذا التراث ، كما جعله هو الذي (يسحب د . لويس عـــوض من عنقه)، ويقوده في هذا الدروب الضالة المنحرفة، وكذلك ســـــار د . غالي شكري وراء د . لويس عوض (تابعا لـــه)، تلك بعض صور السخرية الشديدة التي كررها الشيخ في هذه المقالة .

٧ – وقـــد بـــين الشيخ محمود شاكر أن هدفهم جميعا إفساد الشباب والناشـــئة ، ومحاولـــة إقناعهم بأنهم ليسوا شيئا إذا لم يعيشوا مع العالم الأوروبي المسيحـــي ، فلا شـــيء يحركهـــم في بلادهم ؛ لا دينا ، ولا عـــروبة ، ولا لغـــة ، وأن الماضـــي الذي يجب أن يتمسكوا به ..فهو الماضي المنحدر من وثنية اليونان ، وصليبية القرون الوسطى ، وإليوتية العصر الحديث التي لم يفهمها أي من هؤلاء الثلاثة السابقين الذين أشار إليهم (١١) .

٨ – كما يشير إلى اعتراف د . لويس عوض نفسه أنه ما بين العشرين إلى الـــثلاثين لم يقرأ حرفا بالعربية ، كما كرر قوله " إنه قد كسر رقبة البلاغة العربية ، بل يزعم هو نفسه أنه ضعيف في العربية بالفطرة .

وقد سبق أن كشف الشيخ شاكر عن سوء فهم د . لويس عوض لتعبير " وردة كالدهان " التي وردت في القرآن الكريم ، كما وردت في شعر المعري ، وأنه فسرها بالوردة : الزهرة المعروفة ، وهذا تفسير خاطئ ، لأن المراد هنا الصفة لا الاسم .

٩ – وبعد ذلك يختم الشيخ مقالته " وأقول نعم " بتشديد اللوم على مؤسسة الأهرام ، فهي ملك للشعب ، وهو الذي ينفق عليها ، لكنها فرطت في المسؤولية عندما سلمت سلطان الإشراف الثقافي لمن لا يقدر المسؤولية ، ويعيث فسادا بثقافة الأمة ، وبعقولها ، وبنفوسها ، وبتاريخها ، وبماضيها وحاضرها ، وكل هذا العبث يجب أن يزول حفاظا على هذه المقدسات .

وربما تتكرر في بعض المقالات إشارات إلى بعض مواقف د . لويس عوض التي يرفضها الشيخ ويهاجمها دفاعا عن الأمة لغة وثقافة ودينا ، وليس هذا من قبيل التكرار ، وإنما هو من قبيل جمع المواقف التي يحاول من ورائها الشيخ شاكر كشف موقف د . لويس عوض وأمثاله ، فقد سبق أن هاجمه في مقالته التي انتقد فيها مقدمة ترجمته " بلو تولند وقصائد أخرى " (١٢)على سبيل المثال ، لكن إعادة الإشارة إلى موقف سبق الحديث عنه ، يتضمن مزيدا من التفاصيل والمناقشة التي تجعل إعادة الإشارة إليه ربطا له بغيره من المواقف المناظرة ، وهذا يؤكد الاتصال والارتباط بين مقالات الشيخ خلال تتابعها وتسلسلها

تحت هذا العنوان " أباطيل وأسمار " كما تسري فيها روح السخرية والتهكم التي تنبض بها كلماته .

ب – المستوي الفني [التركيب ، والتصوير ، والإيقاع] :-

وقد وضحت جوانب أسلوب الشيخ شاكر الفكرية خلال تحمسه للدفاع عن مقدسات الأمة عقيدة وفكرا ولغة وأدبا وثقافة ، وحسمه في التصدي لأعداء الأمة ، – كما يتصورهم – وكشف خداعهم ونفاقهم ، وتزييفهم ، وعدم الدقة في فهمهم تراث الأمة كما يزعم .

وقد تجلي أسلوبه ساخرا خلال وسائله التعبيرية اللصيقة بهذا "الأسلوب الخاص" ، إذ تكشف بنية هذه المقالة عن روح منطقية تعتمد التحليل والبرهنة آلية في الكشف عن الفكرة ، وإثباتها للإقناع بها من ثم تجلت وسائل برهانية عدة لتشكيل بنية هذه المقالة خلال محوري "التماثل" و"التقابل" اللذين يضمان : الموازنة بين أفعال الشخصيات ، وتوظيف كثير من أدوات التوكيد والعطف والاعتراض كروابط ، وهي تتآزر جميعها في إبراز تماسك مقالته وترابطها والكشف عن غاياتها الإصلاحية .

فالمقالة تدور حول د.لويس عوض وكشف تجاوزاته ، لذلك وجدنا المقالة "تماثل" بينه وبين بشارة تقـــــلا في خيانة الأمـــــة والوطـــــن ، الأول لولائه للزعيم الوطني أحمد عرابي أثناء ثورته ، ثم تنكـــــــــــره له وتوقحه

معــه عــندما سجنه الاستعمار البريطاني ، وكذلك د . لويس عوض بمواقفــه مــن تراث الأمة الشعري ، وبخيانته للأمانة فيما يشرف عليه وينشره بجريدة الأهرام (١٣) .

ثم " تَمَـائِل " المقالة بين الداءين اللذين أصابا بدر شاكر السياب من جهة ، ود . لويس عوض من جهة أخرى ، لكنها تعود " فتقابل " بــين هذين الداءين ، فهما بالنسبة لبدر شاكر السياب : داء العظام ، وداء الشــعر ، لكــنهما عــند د . لويس عوض الحقد الدفين والمكر السوقي المبتذل .

ويمتد " التقابل " في بنية المقالة بين سوء فهم د . لويس عوض لهذا الــتراث ؛ عندما يتحدث عن شعر بدر شاكر السياب ، وكذلك عدم دقة تفسيره لــ : " وردة كالدهان " التي وردت في القرآن الكريم وفي شــعر المعري ، إذ يفسرها بالزهرة بينما المراد كما رأى الشيخ شاكر دلالة الصفة على الحمرة ، في مقابل ذلك يتضح حسن فهم بدر شاكر الســياب للشــعر وســلامته ، وذلك قبل أن يتحول موقف السياب الشعري نفسه في توجهاته الفكرية .

وهكــذا يتأكد خلال هذين المحورين " التماثل والتقابل " وجهة نظــر الشــيخ ، فيتضح تزييف د . لويس عوض وعدم فهمه للشعر العربي القديم أو الحديث ، وتفريطه في مسؤولية الإشراف الثقافي على صحيفة الأهرام التي هي ملك للوطن ، ويتجلى من وجهة نظر الشيخ

خيانـــته للأمـــة لغة وثقافة وفكرا ومعتقدا وأدبا مما يقتضي إبعاده عن صحيفة الأهرام .

وإذا كانـــت بنـــية هـــذه المقالة ذات طبيعة برهانية تحليلية ، فقد انتشرت فيها أساليب النفي للإثبات، والاستدراك للتأكيد والتفصيل ، بالإضافة إلى استخدام أدوات التوكيد المختلفة والتكرار لكشف عبث وخـــداع وعدم أمانة نموذج من نماذج عملاء الاستشراق والتبشير من وجهة نظر الشيخ شاكر .

وبرغم أن عنوان المقالة " أقول نعم .. " مؤكدا الإثبات ، نجـــد أن ظاهرة النفي منبثة في المقالة ، لكنها تقترن بالإثبات لتتآزر وسائلها المتعددة في تأكيد رؤية الشيخ المفندة المبرهنة الساخرة ، نراه مثلا يربط بـــين دور بشارة تقلا في صحيفة الأهرام سابقا ودور د . لويس عوض لاحقا في المكر والكيد والغش ، جاعلا الأخير امتدادا للأول يقول : " والظاهـــر أن بشـــارة تقلا هذا قد عاد حيا مرة أخرى ، واستوى في صحيفة الأهرام يحررها ويديرها بمكره وكيده وغشه .... فإلا يكن قد عـــاد ، فقـــد قام المستشار الثقافي لصحيفة الأهرام .... نافثا جراثيمه المعهودة " (١٤) .

وهـــنا بينما يؤكد عودة بشارة تقلا عن طريق " الفعل الماضي" ، نجـــده يستخدم " المضـــارع " للكشف عن استمراريـــة المكر والكيد والغش ، بـــل إن تأمـــل الفعلين " يحرر ويدير " والربط بينهمـــا بواو

لعطـــف يؤكـــد استمرار هذا المكر والكيد والغش ضد الأمة ولغتها وثقافـــتها وعقيدتها خلال ما تصدره صحيفة الأهرام وتحت إشرافها في الماضـــي والحاضر ، مما يدعم رؤية الشيخ بالنسبة لهاتين الشخصيتين ، كعمـــيلين للاستعمار والاستشراق والتبشير ، وقد كان تكرير " قد " ثم ربطهـــا بالفاء متسقا مع لهجة الشيخ الحاسمة القوية في الرد والكشف والدفاع .. والإقناع بوجهة نظره .

وتتأكد الظاهرة هنا وهي " النفي للإثبات "عنـــد الشيخ محمود شاكر في هذه المقالة " .. وأقول نعم .. " إذ يعرض لسوء فهم الشعر العـــربي الـــتراثي عند "بشارة تقلا " في الماضي و " لويس عوض " في الحاضر ، وعدم دقـــة فهمها له، والتزييف والخـــداع في تفسيره ، بما يمـــس كـــرامة الأمة معتقدا ولغة وثقافة وأدبا ، إذ يريان في " السيف أصـــــدق أنبـــاء من الكتب " لأبي تمـــام " بعدا عن الحق في شريعة الأخلاق ، وقدرا أسيفا كتب على بني الإنسان منذ عهد قابيل " (١٥) ، مع أن القصيدة من عيون الشعر العربي الذي يكشف عن قوته وقوة المسلمين في مواجهة الروم ، دفاعا عن الإسلام والمسلمين .

يقول الشيخ شاكر :

" وأ ـــا شـــطر " الســـيف أصدق انباء من الكتب " فهو أيضا مطـــروح عـــلى لسانه ، وعلى لسان قائده من عنقه سلامة موسى ، كلاهما ذكره ، وكلاهما شرح معنـــاه هذا الشرح المدهش ، لأنهما لم

يفهما شيئا ، ولا قرآ شيئا ، ولا أظن أحدهما كان قادرا على أن يفهم إلا بمفهـــم ، ولا أن يقرأ إلا بمقرئ ، لأنهما جميعا من معدن واحد ، لا علاقة له بالأدب والفن ، لا في العربية ولا في غير العربية " (١٦) .

وقد تكرر " النفي " في هذه الأسطر الخمسة سبع مرات ، جاء في اثنـــتين منها مرتبطا بالاستثناء لتأكيد فكرة عدم قدرتهما على الفهم أو القراءة إلا بمعين ، فـــإذا ما اقترن النفي هنـــا في موضعين آخرين بـــ " الـــتكرار " الكاشف عن عدم فهمهما لما يقرآن ، بل عدم قراءتهما لشيء قراءة صحيحة ، تأكدت النتيجة التي توصل إليها الشيخ في نهاية هـــذه الفقرة ، وهي انتفاء صلتهما بالأدب والفن في العربية ، وفي غير العربية .

كمـــا يتجلى في هـــذه الفقرة أيضا كثير من وسائل التأكيـــد ؛ " كالـــتكرار " في كـــلمة لسان مرتين ، وكلا مرتين ، واستخدام أن المصدرية المقترنة بالفعل المضارع مرتين ، خاصة وقد جاء ذلك في جمل قصـــيرة متـــتابعة ، مرتبطة بحرف العطف الواو ، مما جعلها تبدو كأنها قذائـــف توجـــه ضد هذا الشخص وأمثاله ممن يعتبرهم الشيخ شاكر أعـــداء للأمة، ومما يلفت النظر أن هذا القصر وذلك التتابع قد حققا لهذه الجمل شيئا من " الإيقاع " الذي يمكنه التأثير بالفكرة في المتلقي ، من ثم يتضاعف إحساسه بوجهة نظر الشيخ .

هكذا تدعم هذه الفقرة ما سبقها من أجزاء المقالة ، بتوحدها معها

في الكشف عن تزييف د . لويس عوض ، وخداعه ، وعدم دقته في فهم تراث العربية ولغتها ، بل يتأكد ذلك عندما يثبت الشيخ شاكر عدم قدرة د . لويس عوض على فهم شعر أحمد شوقي والسياب ، وبذلك فهو لا يفهم العربية في ماضيها ، ولا في حاضرها . وتزداد هذه القضية وضوحا وجلاء عندما يشير الشيخ إلى اعتراف د . لويس عوض نفسه بأنه ضعيف بالفطرة بالنسبة للغة العربية ، وإحساسه بها أجنبي جدا (١٧) ، وبذلك تتجلى فكرة الشيخ في مقالة " وأقول نعم .. " بالنسبة للدكتور لويس عوض ، وفعله في التجني على فكر الأمة وثقافتها وعقيدتها ، مما يكشف عما يراه الشيخ أيضا بالنسبة لعداوته للأمة .

ويمكن أن نعرض فقرة أخرى من ختام هذه المقالة ، تكشف عما سبق وتؤكده ، وبالإضافة إلى كونها ختام ونتيجة لما سبقها من المقالة ، فيمكن أن نجلي خلالها استثماره للصورة الأدبية في الكشف عن فكرته يقول الشيخ :

" إني لم أكتب هذا لأنقد هذا الغلام الغر ، بل لأنبه إلى هذه الآفة التي أخذت تستشري استشراء دودة القطن ، لتهلك تراثا ماضيا ، وتعبث بعقول جيل آت . وإذا كان من يتولى هذه المؤسسات يظن أنه يدفع الأموال من جيبه لمثل هذه الأوبئة المهلكة " فليعلم أنه يظن خطأ ، لأن هذه المؤسسات يملكها الاتحاد الاشتراكي نيابة عن الأمة ،

وهذه الأمة لا ترضى أن تلعب بأموالها عصابة من الناس ، بلا رعاية لحرمة ، ولا إدراك لتبعة ، ولا حياطة لثقافة ، ولا حمل لأمانة الدفاع عن كيان العقل ، أن ينخر فيه جراثيم الفتك المسلطة على عقول الناشئة . إن الأمة لم تملك الاتحاد الاشتراكي هذه المؤسسات ، لتكون ألعوبة في يد المستشار الثقافي وذيوله ، باسم " الثقافة " ، والتي هي في حقيقتها ضروب من مخاريق الشرلتانات التي شرحت أمرها فيما سلف".

تمثل هذه الفقرة النتيجة المنطقية التي يؤدي إليها تتابع فقرات هذه المقالة ، ومن وسائل إبرازها فنيا الصورة الأدبية الكلية ، عندما تتآزر أجزاؤها في الكشف عن هذه النتيجة ، فالمقالة تصور د . لويس عوض وأمثاله – من وجهة نظر الشيخ – (١– غُلا ما غِرا ٢– وآفة تستشري استشراء دودة القطن ٣– وأوبئة مهلكة ٤ – وعصابة عابثة ٥– وجراثيم فتك مسلطة على عقول الناشئة) (١٨) .

وإذا كانت الصورتان الأولى والرابعة تصوران عدم الإحساس بالمسؤولية والعبث بها ، فإن بقية أجزاء الصورة الأخرى تعمق الإحساس بالخطر المحدق والهلاك المنتظر نتيجة هذا العبث . فأي خطر هذا الذي أصبح يرتبط بفعل د . لويس عوض وأمثاله كما يصوره الشيخ ! في تهديد الوطن وأبنائه في ثقافته وفكره !، وإذا كانت صحيفة الأهرام التي يشرف عليها هو ثقافيا وسيلة إلى ذلك ، وهذه الصحيفة ملك لهذا الوطن وأبنائه ، ينفق عليها وعلى العاملين بها ، فهل يستقيم

عقلاً ومنطقاً أن ينفق الوطن على آفة تستشري فيه ، لتهلكه ، وتعبث بعقول أبنائه وثقافته ... ومن ثم يجب التخلص من هذا "الخرق".

وقد أخذت المقالة تكرر هذا المعني بصور مختلفة فيما تبقي من خاتمتها.

وسنجد بالإضافة إلى ما سبق كثيراً من الوسائل التعبيرية اللصيقة بالتحليل والبرهنة التي تجلت فيما سبق (وقد وضعت تحتها خطوطا) ، شاهدة في هذه الفقرة علي حسم الشيخ ، وشدة نبرته في الحساب والعقاب ، وليس ذلك إلا صدي لحرصه الشديد علي ما نذر نفسه له ؛ وهو الدفاع عن الأمة وثقافتها ولغتها وفكرها .... ودينها قبل كل شيء ، وهو ما يشكل جوهر مقالته الإصلاحية .

ولعل من أهم ملامح المقالة الإصلاحية في أدب الشيخ محمود شاكر هو تلك اللغة الرصينة الجزلة المشرقة التي تذكرك بالعربية في أزهي عصورها بصورة متميزة ، وهو يقترضها (١٩) من القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربي ، ويستثمرها أفضل استثمار ، وبرغم أن هذه المقالة من أقرب المقالات إلى الروح الصحفية في تحري اللغة السهلة القريبة ، لكنها لم تخل أبدا من هذا الملمح الخاص بالشيخ شاكر وهو "الاقتراض" من القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربي وحسن استثمار هذا الاقتراض مثل [السالف – حواشي – إلا يكن – التوقح – فتح الفتوح – بلا ريب – حسبك من – ليت شعري – متنفخ – أكب – وطأت ، يعمي ويصم .... ، مخاريق].

بل قد نجده يضمن مقالته شيئا من الشعر التراثي مثل " أحلامنا تزن الجبل رزانة " (٢٠) ، وهي شطر بيت للفرزدق يصور به الشيخ تعالي وتشامخ د. لويس عوض المزعوم .

أما إقتراضه من القرآن الكريم ، فهو يستثمره خير استثمار ، يوضح ذلك تهكمه بسلامة موسى ود. لويس عوض عندما لم يحسنا فهم شطر بيت أبي تمام : " السيف أصدق أنباء من الكتب "فنسب ذلك إلى السخف والحقد قائلاً : ولكنه الحقد يعمي ويصم " (٢٠) .

وقد استفاد من ذلك في قوله تعالي " صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعقِلُون " بعد أن وظفه في سياق مقالته توظيفاً موفقا ، دون أن يأخذه أخذا مباشرا ، مما جعل هذا الاقتراض مصدر ثراء للدلالة في مقالة الشيخ شاكر .

وإذ كان هناك من يشترط تضمن المقالة للسخرية كما أشرت في بداية هذه الدراسة ، فلا شك أن مقالات الشيخ شاكر قد تجلى فيها هذا الملمح في أشد درجاته ، وأعلا مستوياته التي قد تهدد مستوي النقاش أو الحوار بما قد يطامن من قيمته الأخلاقية .

كما تتميز هذه المقالة الإصلاحية بالتنوع الموضوعي بين سياسي واجتماعي ، ونقد أدبي وغيره ، لكنها في داخل كل نوع تتشعب وتتعدد القضايا المتناولة ، لكنها مهما تعددت وتشعبت لا تخرج عن هيمنة مقدرته علي التحليل والبرهنة والإقناع ، مشكلة بنية مقالية أدبية إصلاحية متماسكة ، تكشف عن رقي وعيه ، واتساع معارفه

الإنسانية ، قديمها وحديثها بما يشكل جوهر المقالة الإصلاحية لديه.

ثالثاً : : ب : مقالاته فى المتنبى

صـــدرت هـــذه المقـــالات أولا في المقتطف سنة ١٩٣٦م ، وعندما أعاد إصـــدارها ســـنة ١٩٧٦م مـــع بعض التعديلات والإضافات ، كتب لها مقدمة بعـنوان " رسالة في الطريق إلى ثقافتنا " ، تحدث فيها عن علاقته بطه حسين عندما كان أستاذا بكلية آداب القاهرة للطالب محمود محمد شاكر ، وكيف ضاق بالدراسة ومنهجها ، فهجر الكلية .

ولكـــنه اســـتطاع بعـــد مداومة قراءته للشعر القديم وتقليب النظر فيه ، وعكوفـــه علـــي أن يتوصل إلى منهج ذوقي به يستطيع أن يدرك حقيقة شعر الشاعر ، وكشفه عن شخصية قائله ، خلال مراحل حياته وتقلباتها ، خاصة وقد كـــان يتصل اتصالا وثيقاً بالروايات والأخبار عن الشاعر وشعره ، مما جعله يتوصـــل إلـــى ترتيب خاص به لشعر المتنبي ، برغم تعدد ترتيب قصائد هذا الديـــوان ، ســـواء الترتيب الذي نسب إلى أب الطيب نفسه ، أو غيره ، بل لقد اســـتطاع بتذوقه الفني وخبرته بالروايات أن يغطي ثغرات في حياة شخصية أبـــي الطيب بالدليل والبرهان اللذين يستمدهما من معاودة النظر في الروايات التاريخـــية التـــي تدور حول الشخصية وأخبارها وشعرها ، كنسب أبي الطيب وحقيقة والده مثلا .

كما فصـــل الحـــديث في " المنهـــج وما قبل المنهج " وشطريهما المادة

والتطبيق ، وكيفية ممارستهما في هاتين المرحلتين ، وربط بين ذلك وبين الأصل الأخلاقي الذي يمكن أن يكون ضابطا رقيبا على الإنسان الباحث ، كما أكد على أن هذا الأصل الأخلاقي هو رأس كل ثقافة، .. وهو الذي حفظ للثقافة الإسلامية تماسكها مدة أربعة عشر قرنا ، لكن المسلمين ابتلوا بالمستشرقين والاستعمار والتبشير ، وهؤلاء بعيدون تماما عن هذا الأصل الأخلاقي ، مما أفسد اللغة والثقافة نتيجة أهوائهم ، ومحاولاتهم السيطرة على الحياة العربية والإسلامية في مصر خاصة التعليم ، ومقاومة المخلصين لذلك .

وهو بدفاعه ذلك عن شخصية أبي الطيب وشعره ، إنما يدافع عن شخصية عربية إسلامية في وجه دعاوى النيل من قيمتها الفكرية والفنية ، وبذلك يعلي من هذه الشخصيـــة كنموذج من النماذج التي تشكل ماضي الأمة وتراثها، ليدحض افتراءات أعدائها وأعداء لغتها وثقافتها وفكرها ، وذلك مما نذر الشيخ شاكر نفســـه له ، حتى يقدم للأمة وشبابها نماذج من الشخصيات القادرة على بعث الحياة قوية في عقول ونفوس الشباب وفكرهم ، حتى يجعلوا حـــاضرهم امتـــدادا لماضيهم ، وحتى يؤصلوا بهذا الفكر لواقعهم المعاصر ، ولا شك أن ذلك توجه إصلاحي محمود يحسب للشيخ كما تحسب له مقالاته في هذا الاتجاه .

وربما كانت طبيعة مقالات الشيخ في كتابه " المتنبي " أقـــرب إلى

الفصول منها إلى المقالات ، وذلك لأسباب عدة ؛ أولها : أنها كلها مجتمعة ذات موضوع واحد بداية ونهاية ، فكل فصل منها يتناول جزءا من حياة المتنبي وشعره، حتى المقالات التي كان يرد بها على طه حسين أو غيره ، وألحقها في نهاية كتابه تسير وفق هذه الغاية .

ثانيا : أن مقالاته في المتنبي صدرت منذ البداية في كتاب واحد في المقتطف ، ولم تصدر منجمة متفرقة .

ثالثا : لا نجد فيها التنوع والتعدد والتشعب الذي نجده في مقالاته السياسية أو الاجتماعية ، وهي لا تشبه " أباطيل وأسمار " برغم أنه قد يناقش في هذه الفصول أو المقالات تعدد الروايات لقضية من القضايا لنشأته أو نسبه أو ما اتهم به من القرمطيـــة ، ويفند بعضها ليرده ويرفضه أو يدعمه بالأدلة ليقبله .

رابعا : التنوع والتشعب في " أباطيل وأسمار " وغيرها يعتمد على أدلة وموضوعات ومواقف من خارج القضية المتناولة ، برغم وحدتها جميعها في كونها صدى لما نذر نفسه له من دفاع عن الوطن والأمة دينا ولغة وثقافة وفكرا وأدبا وتاريخا ، بعكس مقالاته في المتنبي فهي كلها تدور حول المتنبي شخصية وشعرا وحياة ، وإن كانت في النهاية ترتبط بهدفه الأخلاقي الإنساني العام الدفاع عن الأمة والوطن .

٣-ج : نمط صعب ونمط مخيف :

موضوعه :

يـــتألف هـــذا الكتاب من سبع مقالات ، نشرت بمجلة المجلة المصرية عامـــي (١٩٦٩م-١٩٧٠م) ، ويتناول قصيدة جاهلية نسبت خطأ لطأبط شراً أو غيره *، وقد قام بترجمة هذا النص إلي الألمانية جوته ، بناء علي ترجمة فريـــتا ج للنص العربي إلى اللاتينية ، ثم قام د. عبدالغفار مكاوي - بترجمة الـــنص الألمانـــي إلى العربية ، وقد كتب الأستاذ يحي حقي مقاله في مجلة المجلة نفسها ، وكان رئيس تحريرها - عبر فيه عن إعجابه بما قام به جوته ، بيـــنما لم يعجبه النص الأصلي العربي لما فيه من حديث عن القتل ، كما انتقد بناءه وافتقاده الوحدة .

منهج الشيخ شاكر : وقد اعتبر الشيخ محمود شاكر ما سبق شيئاً مخيفاً وصعباً ، ثم نظر بذوقه وخبرته وتمرسه بالشعر الجاهلي ودقته في البحث والتحري ، وأثبت أن النص لابن أخت تأبط شراً ، كما حاول أن يحقق الأبيات نصاً وعدداً وترتيباً ، اعتمادا علي منهجه الخاص في تذوق الشعر ، فرجع إلى المصادر العربية العديدة التي ورد فيها هذا النص ، أو بعض أبياته ، مبتغيا إثبات ترابطه ، ومبرزاً وحدته ، ومن أجل ذلك قدم تحليلاً فنياً له كشف كثيراً من جوانبه اللغوية والفنية . وهذا هو باختصار منهج الشيخ في الدراسة والنقد والموازنة الذي كونه بعد قراءة مستديمة طويلة للشعر القديم ومصادره.

(*) وهي تبدأ بـــ "إن بالشعب الدي دون سلع لقتيلا ، دمه ما يطل ".

تحقق الوحدة في الشعر الجاهلي :

وهو خلال تحليله للقصيدة وإبرازه لترابطها ووحدتها يحتكم إلى ثلاثة أزمنة ؛ زمن الحدث : وهو الزمن المادي الذي وقعت فيه الأحداث، وزمن التغني بالشعر ، ثم الزمن النفسي : وهو أهمها، وأكثرها تأثيراً فيها ، إذ هو المتحكم في بناء الغناء وفي تكامله ، وهو الذي عليه المعول في نقد الشعر،[1] ، وهو الذي شعث أزمنة الأحداث وأزمنة التغني في هذه القصيدة ، [2] وبناء علي ما سبق فقد قام الشيخ محمود شاكر بترتيب مقاطع القصيدة ترتيباً خاصاً به ، بل إن تحليل الشيخ شاكر العروضي لهذه القصيدة قد تم بناء علي هذا الزمن ، كما أن تماسك القصيدة في ضوء ذلك من الزمن يثبت وحدتها وترابطها، وذلك هو الأساس الذي قرر الشيخ بناء عليه وجود الوحدة في الشعر الجاهلي ، وقد أكد ذلك في المقالة السادسة خاصة عندما اتخذ هذه القصيدة نموذجاً لذلك ، بالإضافة إلى أنه فصل القول فيما يتعلق بهذه القضية.

وبين أن تلقي الرواة للنص ، وما يقع لهم من أحداث ، وما يصيب النص نفسه في ضوء ذلك من تقديم وتأخير وحذف وبتر ، وغير ذلك ، لا يجعل ترتيبه الذي ورد إلينا به ترتيباً صحيحاً ، ومن ثم توصف هذه النصوص خطأ بأنها تفتقد الوحدة لذلك فقد وازن الشيخ خلال تحليله للقصيدة بين ترتيبه وتناوله هو لها ، وبين ترتيب بعض المستشرقين وعرضهم لها ، قبل جوته مثل المستشرق الإنجليزي سير تشارلز لايل (ت ١٩٢٠م) ، وكذلك

---

[1] نمط صعب ، ونمط مخيف ، ص ٢٤٥.

[2] السابق نفسه ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٥٥ ، ص ٣٠٤ ، ص ٣٠٥.

المستشـــرق الإنجليزي الآخر نيكلسون (ت ١٩٤٥م) ، لأن جوته قد تأثر بهما [١].

جوته ما له وما عليه :

وقـــد تنـــبه الشيخ شاكر بناء علي ما قرأه في مجلة المجلة من تعليق جوته علي القصيدة وترجمته لها ، إلى إحساس جوته نفسه بشيء من الزمن النفســـي الذي تحدث عنه الشيخ شاكر، برغم أن جوته لا يجيد العربية [٢] ، ولكـــنه انـــتقد إعجاب يحيي حقي بما يراه جوته – غير ما سبق لأنه عندما تـــرجم القصيدة من اللاتينية إلى الألمانية وعلق عليها ، فقد خلط خلطاً كثيراً نبه الشيخ إليه [٣].

هـــذا ، وقد راجع الشيخ كثيرا من التفسيرات التي رآها السابقون لهذه القصيدة ، كالمرزوقي ، وأبي العلاء المعري ، وقد يقبلها لغوياً لكنه يرفضها بناء علي السياق والزمن النفسي اللذين توصل إليهما الشيخ في ضوء منهجه وتذوقه للنص ، وخبرته وتمرسه بالشعر القديم .

كمـــا ناقش كلام جوته الذي فُهم – كما يري الشيخ شاكر – علي غير وجهه الصحيح ، لأن جوته قد اعترض علي ترتيب أربعة أبيات فقط ، وذلك بناء علي قراءته لما ترجمه فريتاج باللاتينية للقصيدة نفسها ، لكن الشيخ في

---

(1) انظر السابق نفسه ، ص ٢٣٢.

(2) انظر السابق نفسه ، ص ٢٥٠.

(3) انظر السابق نفسه ، ص ٢٥١.

الوقـت نفسـه أثبـت لجوته رقي مقدرته الذوقية والفنية ، وهو يعلق علي القصـيدة قـائلاً " من يقرأها بإنعام لا بد أن يري الأحداث من البداية حتى النهاية ، وهي تنمو وتتشكل أمام خياله " [1] ، لأن هذا يعني من وجهة نظر الشيخ إدراك جوته لما في الأبيات من وحدة .

وكذلـك أعجب الشيخ بقول جوته : " أروع ما في هذه القصيدة ، أن النـثر الخالص الذي يصور الفعل ، يصير شعرياً بواسطة نقل الحوادث من مواضعها " [2] ، إذ رأي في ذلك مقدرة لجوته علي إدراك ما في القصيدة من تشعيث زمن الحدث وزمن التغني ، وهو ما لا يتحقق إلا لشاعر متمكن .

والشيخ بذلك يدافع عن جوته ، كما رأي أن سوء فهم يحي حقي لكلامه إنمـا هـو نتـيجة سرعة الأخير في القراءة ، وعدم تثبته مما قاله جوته ، ويضـاف إلـى ذلك ما قام به المترجم العربي من تعليق ملتبس [3] في نظر الشيخ ، وأيضاً بسبب ترجمة فريتاج للقصيدة قبل ذلك .

الدراسة والنقد والموازنة عماد منهج الشيخ :

وقـد أكد الشيخ فيما سبق اهتمامه بالدراسة والنقد للأشعار والموازنة بينها ، فذلك أهم من الحديث عن الرواة لإثبات أن الشعر غير منحول ، لأن هـذه الدراسـة وذلك النقد يكسب القارئ الجيد التمرس بالشعر ، كما يذكي

---

(1) السابق نفسه ، ص ٣١٣.

(2) السابق نفسه ، ص ٣٠٨.

(3) انظر السابق نفسه ، ص ٣١٣.

مقدرته علي صحة نسبة الشعر للشاعر وعصره ، وهذا هو المنهج الذي اتبعه الشيخ شاكر عندما واجهته أزمة الشعر الجاهلي التي أثارها مرجليوث ، ثم طه حسين سنة ١٩٢٥م. ، وهكذا اعتمد الشيخ علي دراسة الشعر ونقده بالنسبة للشعر الجاهلي والإسلامي ، كما اعتمد علي المقارنة ، بعد أن تجلت لديه خصائص كل شاعر جاهلي بصفة خاصة ، وكذل بالنسبة للشعر الإسلامي، مما جعل المقارنة ممكنة للتمييز وتحديد نسبة الشعر إلى الشاعر وعصره الجاهلي أو الإسلامي.

الشيخ شاكر ينصف طه حسين :-

وقد كان عرض الشيخ شاكر في نهاية مقالته الأخيرة ، لمحنة وصف الشعر الجاهلي بالانتحال التي أثارها مرجليوث وطه حسين ، لكي يفرق بين عبث مرجليوث ، وجد طه حسين الذى عرض لهذه القضية في إطار إعادة النظر في الشعر القديم ، تلك القضية التي أُوخذت علي غير ما أراد طه حسين، فعبث بها العابثون الذين أساءوا النظر إلى الشعر الجاهلي ، بل والشعر العربي عامة ، وذلك ما جعل طه حسين سنة ١٩٣٥م يشعر بأنه وضع الشك في غير موضعه ، فأخذ يرد الشباب والباحثين إلى جادة الطريق ، لكن الأمر كان قد فلت زمامه، وفي ذلك ما فيه من إنصاف الشيخ محمود شاكر لأستاذه بالجامعة طه حسين ، برغم ما حدث بينهما من مناقشات ومفارقات ، لكنها انتهت أخيرا بعد أربعة عقود هذه النهاية التي تحفـــــــظ للعلم قدره ، وللعلماء مكانتهم كما تؤكـــــــد أن العلم رحم بين أهله ، ورحم الله الجميع.

هـذا وقـد أشار الشيخ شاكر في نهاية هذه المقالة ، بعد ما سبق إلى أن محـنة وصـف الشـعر الجاهلي بالانتحال قد ارتبطت في هذه الآونة بدعوى ويلكوكـس إلـى اسـتبدال العامية بالفصحي، وأن الشيخ حاول كشف الحقيقة للشباب والباحثين علهم يعودون إلى الصواب .

أما البناء الفني لهذه المقالات فهي لا تختلف كثيراً عن غيرها من مقالاته، إذ تتميز بالطول وتعدد عناصرها برغم وحدة القضية المتناولة ، وكأني بتعدد العناصر لون من ألوان التقسيم المنطقي للفكرة ، التي يحاول أن يثبت وجهة نظره من خلال عرضها كاشفا عن دعوته الإصلاحية ، حاشداً براهينه وأدلته عليها ، وهو يستمد هذه البراهين من معطيات التراث بمصادره المتعددة، يضاف إلى ذلك خبرته الطويلة بالتراث ومعايشته له ، وفي الوقت نفسه يستصفي من المتغيرات ما يوظفه في دعم فكرته ، ويتجلي كل ذلك خلال صياغة تحتفي باللغة وجزالتها ، تسري فيها روح القرآن الكريم والحديث الشريف ، وولاء كامل للتراث ، لدرجة أن هناك بعض المفردات التي يوظفها ، ويشعر بأن دلالتها قد لا تضح بالنسبة للمتلقي ، فنجده يشرح معناها بين قوسين، حتى يستقيم تعاطي القارئ لفكرته .

كمـا قد ارتبط ما سبق بشيء من السخرية الفكرية التي تتضح في كثير من مقالاته لتنضم إلى وسائله التعبيرية في التأثير والدعوة إلى الإصلاح .

ومما سـبق يتضح أن غاية الشيخ محمود شاكر من هذه المقالات السبع هو الإصـلاح والحفـاظ علـي الأمة ولغتها وتراثها ، والدفاع عن الشعر العربي القديم، خاصة الجاهلي ، لا سيما وهو يرسي أسـس منهج التعامل مع هـذا

الشـــعر ليثبت أصالته وعدم انتحاله ، ويجلي وحدة القصيدة فيه وتماسكها ، نافياً عنه التفكك وعدم الترابط ، متخذاً من قصيدة ابن أخت تأبط شرا نموذجاً لهذا الشعر ، وقد طبق عليها منهجه الذي توصل إليه في هذا المجال .

* التعريف بالشيخ محمود محمد شاكر (٢١)

- هو محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر من أشراف جرجا بصعيد مصر ، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه .
- ولد بالإسكندرية ، في العاشر من محرم سنة ١٣٢٧هـ الموافق أول فبراير سنة ١٩٠٩م .
- من أسرة متدينة ومن بيت علم فقد كان والده شيخا لعلماء الإسكندرية ، ثم وكيلا للجامع الأزهر .
- تلقى تعليمه في القاهرة في مدارس التعليم العام ، كما اتصل بالشيخ سيد بن علي المرصفي وقرأ عليه كثيرا من كتب التراث مثل الكامل للمبرد ، وحماسة أبي تمام .. وغيرها .
- حصل على شهادة البكالوريا سنة ١٩٢٥م ، وفي سنة ١٩٢٦ التحق بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، قسم اللغة العربية ، وفي السنة الثانية اختلف مع أستاذه د . طه حسين حول منهج دراسة الشعر الجاهلي ، وترك الدراسة الجامعية ، وذهب للعمل في السعودية ، لكنه ما لبث أن عاد إلى مصر .
- عاد إلى القاهرة لينصرف إلى الكتابة في بعض المجلات التي كان يكتب فيها سابقا مثل " الفتح " و" الزهراء " ، كما كتب في " الرسالة " و" البلاغ "، وقد كانت صلته قوية بالرسالة .

- وإذا كانت صلته بالعلماء والسياسيين قد بدأت في بيت وال
منذ كان طالبا، فقد أخذت بعد عودته تزداد توثقا، من هؤلاء
محب الدين الخطيب ، وأحمد تيمور باشا ، والشيخ محمد الخض
حسين ، وأحمد زكي باشا ، ومحمد أمين الخانجي وغيرهم ، ك
تعرف على الشاعر أحمد شوقي .
- وقد اتصلت المعرفة بينه وبين الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
وظلت قوية حتى وفاة الأخير سنة ١٩٣٧ ، وقد اتصل بالعقا
بعد ذلك .
- كما تعاطف مع الحزب الوطني القديم ، فقد كانت هناك صلة
بين والده وبين الزعيم مصطفى كامل ، وقد كان أخوه علي
عضوا بالحزب ، من ثم فقد اتصل ببعض شباب الحزب.
- وفي سنة ١٩٥٠م اتصل بالحزب الوطني الجديد وكتب في مجلة
" اللواء الجديد " .
- وله دور واضح في إخراج مجلة " المختـــار " وترجمـــة بعض
موادها .
- أخرج جملة من أمهات الكتب العربية مثل : تفسير الإما
الطبري (ستة عشر جزءا) وطبقات فحول الشعراء لمحمد بن
سلام الجمحي ، وجمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ، كما
شارك في إخراج الوحشيات"لأبي تمام"،و"شرح أشعار الهذليين".

- وله كذلك قصيدة القوس العـــذراء سنة ١٩٥٢ ، ومجموعـــة مقـــالاته " أباطيـــل وأسمار " التي نشرها في الرسالة الجديدة وطبعت سنة ١٩٦٥ ، وقد عرضت لها في هذه الدراســـة ، وكذلك مجموعة مقالاته عن " المتنبي " التي نشرت أولا في المقتطف سنة ١٩٣٦ كعدد مستقل، ثم أعيد طبعه بعد ذلك، كما صدر له مجموعة مقالات " نمط صعب ، ونمط مخيـــف سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م وهي عبارة عن سبـــع مقـــالات نشـــرت بمجلة المجلة ١٩٦٩ / ١٩٧٠وله ديوانان شعريان جُمع فيهمـــا كثير جدا من قصائده التي نشرت في حياتـــه بالمـــجلات المختلفة ، علما بأن مقالاته كلها تقريبـــا كانت منشـــورة في المجلات المختلفة ، وقد جُمع أكثرها في كتب مستقلـــة بعـــد وفاته في جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر في جزئين .
- شارك في عدد من المؤتمرات والملتقيات العربية كما لبى دعوة بعض الجامعات التي ألقى فيها بعض المحاضرات كجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض .
- اعتقل مرتين في عهد جمال عبد الناصر من فبراير سنة ١٩٥٩ إلى أكتـــوبر ١٩٥٩ ثم من أغسطس ١٩٦٥ حتى ديسمـــبر

١٩٦٧ .

- وقد كان بيته ومكتبته يفد إليه كثيرون من طلاب العا والمعرفة المصريين والعرب .
- نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب في مصر عام ١٩٨١ كما نال جائزة الملك فيصل العالمية في الآداب سنة ١٩٨٤م .
- توفي في ١٤١٨/٣هـ الموافق ١٩٩٧/٨/٧م .

الهوامش :-

١) سبق أن نشرت تحليلا لهذه القصيدة بمجلة الأدب الإسلامي العدد رقم ١٦ ، ثم نشر هذا التحليل بكتابي " التراث والمتغيرات " من ص ١١٩ : ص ١٥٦ ط القاهرة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٢) انظر د . زكي نجيب محمود . جنة العبيط وأدب المقالة ط . مطبعة لجنـــة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧ م ص ٦ ، ٧ . وكذلك انظر د . عز الدين إسماعيل الأدب وفنونه ط ١٩٥٨ م ص ٢٤٨ وما بعدها .

٣) انظر مقالته : " ويلك آمن " ، مجلة الرسالة ، العـــدد ٣٦٥ – ١٣٥٩/٦/٢٥هـ ١٩٤٠/٧/١م . السنة الثامنة ص ١٠٨٤ . وانظر كذلك : جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر : جمعها وقرأها وقدم لها د . عادل سليمان جمال ج ١ نشر مكتبة الخانجي القاهرة ط ١– ٢٠٠٣ ص ١٩٣ .

٤) انظر مقالتـــه : " هذه هي الساعة " مجلة الرسالة العدد ٣٦٦ – ١٣٥٩/٦/٢هـ ١٩٤٠/٧/٨م . السنة الثامنة ص ١١٢٣ . وانظر كذلك : جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ج ١ ص ١٩٩ .

٥) انظر مقالته : " الحضارة المتبرجة " . مجلة الرسالة ، العدد ٣٧٠ ١٣٥٩/٧/١هـ ١٩٤٠/٨/٥م السنة الثامنة ص ١٢٥٢ .

وانظر كذلك : جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ج ١ ص ٢١٦ .

٦) انظر مقالته : " أخوك أم الذئب .." مجلة الرسالة العدد ٣٦٧ في ١٣٥٩/٦/٩هـ ١٩٤٠/٧/١٥ م .

وانظر كذلك : جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ج ١ ص ٢٠٥ .

٧) انظر مجلة الرسالة العدد ٣٦٧ ، السنة الثامنة ص ١١٦١ .

وانظر كذلك : جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ج ١ ص ٢٠٥ .

٨) انظر مقالته : " عدوان لطيف ..." مجلة الرسالة العدد ٣٨٩ في ١٣٥٩/١١/١٧هـ ١٩٤٠/١٢/١٦ م .

وانظر كذلك : جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ج ١ ص ٢٠٥ .

٩) انظر أباطيل وأسمار ص ٩ ط مطبعة المدني – القاهرة .

١٠) السابق ص ١٥ .

١١) انظر أباطيل وأسمار ص ٣٤٨ .

١٢) انظر د . لويس عوض مقدمة ترجمته " بلوتو لاند وقصائد أخرى " ص ٣٦ .

١٣) انظر أباطيل وأسمار ص ٣٣٩ : ص ٣٤٠ .

١٤) انظر السابق نفسه ص ٣٤٠ .

١٥) انظر السابق نفسه ص ٣٤٣ .

١٦) انظر السابق نفسه ص ٣٤٤ .

١٧) انظر السابق نفسه ص ٣٤٣ .

١٨) انظر السابق نفسه ص ٣٤٧ .

١٩) انظر مفهوم الاقتـــراض كمعيار للنقـــد الأدبي الإسلامـــي ، في " الأدب الإســـلامي بين الشكل والمضمون " ط ١ القاهرة سنة ١٤٢١ هـــ / ٢٠٠٠ م . ص ٨٢

٢٠) انظر السابق نفسه ص ٣٤٢ .

٢١) انظر السابق نفسه ص ٣٤٥ .

٢٢) انظر كتـــاب دراسات عربية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين – القاهرة ١٤٠٣ هـــ ١٩٨٢ م .

الفهـــــرس

- فاتحة
- التمهيد : فن المقالة : تعريفها ، لمحة تاريخية : البذور الأول للمقالة
- فى القرون الهجرية الأولى
- نموذج من التراث وتحليله: صفة الإمام العادل للحسن البصري ١
- نموذج آخر من التراث وتحليله: من البخلاء للجاحظ ٢
- في العصر الحديث: أهميتها وأنواعها ٣
- نموذج: "القلب أنت" لصالح بن علي الأحمر ، وتحليله ٧
- هوامش ومصادر التمهيد ٩
- المقالة الإصلاحية في أدب الشيخ محمود شاكر: مدخل ٠
- أدب الشيخ محمود شاكر ١
- مفهوم المقالة الإصلاحية لديه ٢
- مقالاته الإصلاحية السياسية ٥
- قراءة في نموذج من مقالاته السياسية: أخوك أم الذئب ٠
- المقالة الإصلاحية الاجتماعية ١
- أباطيل وأسمار ٧
- قراءة فى مقالة إصلاحية فى مجال الأدب والثقافة: "أقول نعم" ١
- مقالاته فى "المتنبى" ٤
- مقالاته فى "نمط صعب ونمط مخيف" ٥
- تحقيق الوحدة فى الشعر الجاهلى ٦
- جوته ماله وماعليه ٧
- الدراسة والنقد والموازنة عماد منهج الشيخ شاكر ٨
- الشيخ شاكر ينصف طه حسين ١
- التعريف بالشيخ محمود شاكر ٥
- هوامش المقالة الإصلاحية ٨
- الفهرس

كتب أخرى للمؤلف

١- الكلمة والبناء الدرامي - دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٨١م ط٢ ٢٠٠٠ .

٢- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي - مكتبة المعارف - الرياض - سنة ١٩٨١ م .

٣- الأدب الإسلامي قضية وبناء - مكتبة عالم المعرفة - جدة سنة ١٩٨٣ م .

٤- البلاغة العربية بين القيمة والمعيارية - مطبعة الطوبجي - القاهرة سنة ١٩٨٣ م .

٥- في الأصالة وبناء المسلم - مكتبة العليقي الحديثة - بريدة سنة ١٩٨٥ م .

٦- في البينة والدلالة منشأ المعارف الإسكندرية سنة ١٩٨٧ م .

٧- في الدراما .. اللغة والوظيفة - منشأ المعارف الإسكندرية سنة ١٩٨٨ م .

٨- معالجة النص في كتاب الموازنات التراثية - منشأة المعارف الإسكندرية سنة١٩٨٩.

٩- قراءة في ديوان الشعر السعودي - مكتبة الرضا - القاهرة سنة ١٩٨٩م .

١٠- البنية الفنية والعلاقات التاريخية - دراسة في الأدب الأدب المقارن سنة ١٩٩٠ م.

١١- أثر جي دي مويسان في القصة المصرية القصيرة مكتبة الرضا سنا ١٩٩٠ القاهرة .
١٢- النص الأدبي للأطفال رؤية إسلامية ط١ . رابطة الأدب الإسلامي العالمية سنة ١٩٩٣ م.طكسنة ٢٠٠٥م.
١٣- في جماليات الأدب الإسلامي - المجموعة المتحدة للطباعة سنة ١٩٩٦ م .
١٤- التعبير الدرامي دراسة نصية الطبعة الثالثة المجموعة المتحدة للطباعة ١٤١٩ هـ .
١٥- التراث والمتغيرات-البلاغة العربية نموذجا - المجموعة المتحدة للطباعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١٦- أدب الأطفال التنموي إصدار نادي القصيم الأدبي ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .
١٧- الأدب الإسلامي بين الشكل والمضمون - ملامح إسلامية في الشعر والقصة والمسرحية - المجموعة المتحدة للطباعة القاهرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
١٨- في السرد نظرة تاريخية وقراءة لنماذج مختارة ، المجموعة المتحدة للطباعة القاهرة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م .
١٩- اتجاهات حديثة في أدب الأطفال ٢٠٠٢ م .
٢٠- النقد الأدبي الحديث : أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة (رؤية إسلامية) ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م .
٢١- المقالة الإصلاحية في أدب اشيخ محمود شاكر سنة ٢٠٠٥م. القاهرة مطبعة الطوبجي.